

النَّابِلَةُ  
بَنْ أَهْلِ الْمَرْأَةِ  
عَشْرَ بَرْبَر

تجريديسيف الهمة لا سخراج ما في ذمة الذمة

تحقيق

لوك ياربر وغ



تجريد سيف الهمة  
لأستخراج ما في ذمة الذهمة

لأبي عمرو عثمان بن ابرهيم النابلي المצרי



# تحقيق لوك ياربروغ

تُطلب النسخة الكاملة للشراء –  
بنص الكتاب الحق مع الترجمة الإنجليزية والمقدمة وكلمة  
عن المخطوطات المستعملة والمواشي والمصادر –  
من المكتبة العربية

([www.libraryofarabicliterature.org](http://www.libraryofarabicliterature.org))

## المكتبة العربية

تهدف المكتبة العربية التي أُنشئت بموجب منحة مقدمة من معهد جامعة نيويورك أبوظبي، وبالتعاون مع دار النشر التابعة لجامعة نيويورك، إلى نشر أبرز آثار التراث العربي باللغتين العربية والإنجليزية. إذ تُعد مجموعة من الباحثين الموقين في مجال الدراسات العربية والإسلامية النصوص بحيث يُعرض المتن العربي الحق وترجمته الإنجليزية في صفحات متقابلة من الجلد الواحد. وتعود أقدم النصوص التي تصدرها المكتبة العربية إلى حقبة ما قبل الإسلام في حين تعود أحدها إلى مستهل العصر الحديث. وتضم المكتبة نماذج من مختلف مجالات العلوم والفنون بينها كتب الدين وعلومه وأصوله والفلسفة والعلوم الطبيعية وكتب الأخبار والتاريخ والشعر ونقده وأدب القصة والحكاية.

تدبر المكتبة العربية مجموعةً من الباحثين العاملين في مختلف أنحاء العالم، منهم أعضاء لجنة التحرير، وهم فيليب كينيدي من جامعة نيويورك الذي يعمل محترفاً عاماً، وجيمس مونتموري، أستاذ اللغة العربية في جامعة كامبريدج، وشوك محمد تراوا، أستاذ اللغة العربية في جامعة ييل، اللذان يعملان محرين تفديزيين، وتضم لجنة التحرير: شون أنثوني (جامعة ولاية أوهايو)، وهدى فرج الدين (جامعة بنسلفانيا)، ولارا حرب (جامعة برمنغهام)، ومايا كسروانى (جامعة نيويورك أبوظبي)، وإياناس خنسه (الجامعة الأمريكية في بيروت)، وبلال الأرفه لي (الجامعة الأمريكية في بيروت)، وموريس بوميرانتز (جامعة نيويورك أبوظبي)، ومحمد رستم (جامعة كارلتون). ويشار إلى المحترفين في اختيار النصوص وتفويض المתרגمين ومراجعة المخطوطات والتدقيق النهائي للنصوص المترجمة. بالإضافة إلى ذلك، يعمل الأعضاء المؤسسين للجنة التحرير - جوليا براي (جامعة أكسفورد) ومايكل كورسون (جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس) وجوزيف لوري (جامعة بنسلفانيا) وطاهرة قطب الدين (جامعة شيكاغو) وديفين ستيوار特

(جامعة إيموري) - محرين استشاريين، وذلك من خلال تقديم النصائح والإرشاد للسلسلة بشكل عام.

تُعد المكتبة العربية الأسبق في نوعها، حيث تهدف إلى إنشاء مكتبة كبيرة تضم نصوصاً عربية ذات قيمة مرجعية تصاحبها ترجمات إنجليزية تتصف بحداثة الصياغة وسلامة الأسلوب، سعياً بذلك إلى تعريف الباحثين والطلاب وجمهور القراء غير التخصصيين بموروث الأدب العربي.

## كلمة عن إثبات النص العربي

استُخدمت في إثبات نص هذه الطبعة الأساسية مخطوطات الكتاب الأربع الموجودة بحسب معرفتنا الحالية والتي تحفظ في تونس (ت) ولندن (ب) واستانبول (د) وزاوية الهامل في الجزائر (ج) كما تم شرحه في مقدمة الكتاب المطبوع.

## المحتويات

- ٩ تجريد سيف الله لاستخراج ما في ذمة المدمة
- ١٣ الباب الأول في كراهة استعمال الذمة في أشغال المسلمين وفيه خمسة عشر فصلاً
- ١٣ الفصل الأول فيما ورد في الكتاب العزيز في ذلك
- ١٤ الفصل الثاني فيما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك
- ١٤ الفصل الثالث فيما ورد من كلام الحكاء المتقدمين في ذلك
- ١٥ الفصل الرابع فيما ورد عن الإمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه في ذلك
- ١٥ الفصل الخامس فيما ورد عن الإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك
- ١٧ الفصل السادس فيما ورد عن عبد الملك بن مروان في ذلك
- ١٨ الفصل السابع فيما جرى من الحجاج في ذلك
- ١٩ الفصل الثامن فيما ورد عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في ذلك
- ٢٠ الفصل التاسع فيما جرى أيام الخليفة المنصور في ذلك
- ٢٢ الفصل العاشر فيما جرى في ذلك أيام الخليفة المهدى
- ٢٢ الفصل الحادى عشر فيما جرى أيام الخليفة هارون الرشيد
- ٢٢ الفصل الثاني عشر فيما جرى في ذلك أيام الخليفة المأمون
- ٢٦ الفصل الثالث عشر فيما جرى أيام المتوكل في ذلك
- ٢٩ الفصل الرابع عشر فيما جرى في ذلك أيام المقتدر بالله
- ٣٠ الفصل الخامس عشر في ذكر لمعة من خري اليهود وخبئهم وغضبهم
- ٣٢ الباب الثاني في وصف الأقباط وخياناتهم ويشمل على خمسة عشر فصلاً
- ٣٢ الفصل الأول في وصفهم من حيث الجلة

- الفصل الثاني في سبب اشتغال الأقباط بالكتاب دون بقية الحرف  
الفصل الثالث في عموم تصرفهم في الديار المصرية من حيث لا يُشعر بهم  
الفصل الرابع فيما أطلع عليه أحمد بن طولون من خيالاتهم المشهورة وما اعتنده فيهم  
الفصل الخامس فيما جرى لهم مع محمد بن سليمان  
الفصل السادس فيما جرى أيام الحكم بأمر الله في ذلك  
الفصل السابع فيما جرى في ذلك أيام الأمر وما وقع للملعون الراهن من المصادرة  
الفصل الثامن فيما جرى من خيالاتهم في أمر عريب المغيرة  
الفصل التاسع فيما جرى من تقييمهم أيام الحافظ وخيانتهم في دولته وإفسادهم  
ما صلح من سيرته  
الفصل العاشر فيما جرى من إقدامهم على الشهادة في حجج المسلمين  
الفصل الحادي عشر في ما جرى من تقييمهم في المساحة وإقدامهم على الأذى  
من غير مراقبة الله تعالى ولا خوف فضيحة من الوقوف على خزيهم ولا نظر  
في عاقبة  
الفصل الثاني عشر فيما جرى من تقييمهم على مرافقيهم من الدول وأنه لا يمكن  
ضبطهم عن الخيانة  
الفصل الثالث عشر في ما جرى من تدقيق الحيلة من نصرياني على رفيق له  
يهودي وهو من العجائب التي لا يُقدم عليها إلا هذه الطائفة الخبيثة  
الفصل الرابع عشر فيما جرى من مخازينهم في أيام العاكسد حين كان السلطان  
الملك الصالح طلائع بن رزيك  
الفصل الخامس عشر في ذكر السبب الذي لأجله صار إذا أسلم أحد منهم  
بكائنة أو جائحة جاء أحسن ما كان وأكثر خيانةً وأشدّ بخفة  
باب الثالث في وصف الكتاب والكتاب وفيه فصول ثلاثة  
الفصل الأول في وصف الكتاب  
الفصل الثاني في ذكر من يجوز أن يوصف بالكتاب ويقال له كاتب وذكر شيء من

- 5٣ محسنهم في النثر ولو كلمة واحدة لكل واحد منهم ليعرف بها فضله
- 6٩ الفصل الثالث في ذكر شيء من أشعار الكتاب الفضلاء ولو بيت واحد
- 7٨ الباب الرابع في ذكر الجهال الذين تزيقا بني الكتاب وليسوا منهم وفيه فصول ثلاثة
- 7٨ الفصل الأول في الأشعار التي قيلت فيهم قدماً وحديثاً
- 8٠ الفصل الثاني وهو المضحك في عامية الفاظهم وجهلهم
- 8٨ الفصل الثالث وبمعناه سمي الكتاب فيما ينبغي سلوكه بهم ومعهم من أخذ الأموال التي اختزلوها من أموال المسلمين
- ٩٣ فصل آخر به هذا الكتاب وأترجم فيه عن سبب وضعني إياه

تجريد سيف الهمة  
لاستخراج ما في ذمة الذهمة

- ١٠٠ الحمد لله الذي رفع<sup>١</sup> دين الإسلام على سائر الأديان وفضض أهل الشرك وعبدة الصليبان أحمسه على ما يكون من قضايه وقدره وما كان وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في السر والإعلان وأشهد أن مهداً عبده ورسوله المبعوث إلى الأحمر والأسود والإنس والجان صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان صلاةً تبقى ويفنى دونها الزمان.
- ٢٠٠ وبعد فإنه لما بلغني أن مولانا السلطان الأعظم مالك رقاب الأم وسيد ملوك العرب واليتم ملك البرزخ والبحرين حامي حرزة الدين قاوم الطغاة والمتربين مرغم آناف الملحدين قام الكفرا والمشركين محيي العدل في العالمين سلطان الإسلام والمسلمين نجم الدنيا والدين أيوب ولد مولانا السلطان السعيد الشهيد الملك الكامل ناصر الدنيا والمدين محمد ولد مولانا السلطان السعيد الشهيد الملك العادل سيف الدنيا والمدين أبي بكر ولد مولانا السيد السعيد الشهيد العظيم الشأن نجم الدين أيوب عظم الله شأنه وقوى سلطانه وأذل عدوه وأهانه خرج أمره المطاع أفقذه الله في مشارق الأرض ومغاربها بأن ترفع الذمة العذب وتشد الزمار وأن يمنعوا من التشبه بال المسلمين فيلبسو الغيار وأن يلغوا بأبراد الخزي والهوان والصغراء وأن ينزلوا حيث أزلهم الله من وهاد الذلل ومهابط الاحتقار علمت أن هذه الحركة السعيدة والمقاصد الشريفة السديدة مقدمات تتبع البشرى بالنصر على أعداء الدين وتهجى بالبشر<sup>٢</sup> وجوه الإسلام والمسلمين . فأحببت أن أخدم المرأة الشريفة بكتاب أصنفه في الذمة وتأليف أولئك شكرًا لهذه النعمة فألفت هذا الكتاب وسيتيه تحرير سيف الهمة لاستخراج ما في ذمة الذمة وبنية المقصود منه على قواعد وأصول وجعلته أربعة أبواب يشمل كل باب منها على فصول .

١ كذا في ذهاب في توقع . ٢ كذا في المخطوطتين، ولعل الصواب هو: البشـ.

- الباب الأول في كراهة استعمال الذمة في أشغال المسلمين وفيه خمسة عشر فصلاً ٢٠
- الفصل الأول فيما ورد في الكتاب العزيز في ذلك
- الفصل الثاني فيما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك
- الفصل الثالث فيما ورد من كلام الحكاء المتقدمين في ذلك
- الفصل الرابع فيما ورد عن الإمام أبي بكر الصديق في ذلك
- الفصل الخامس فيما ورد عن الإمام عمر بن الخطاب في ذلك
- الفصل السادس فيما ورد عن عبد الملك بن مروان في ذلك
- الفصل السابع فيما جرى من الحجاج في ذلك
- الفصل الثامن فيما جاء عن عمر بن عبد العزيز في ذلك
- الفصل التاسع فيما جرى أيام الخليفة المنصور في ذلك
- الفصل العاشر فيما جرى أيام الخليفة المهدي في ذلك
- الفصل الحادي عشر فيما جرى أيام الخليفة هارون الرشيد في ذلك
- الفصل الثاني عشر فيما جرى أيام الخليفة المأمون في ذلك
- الفصل الثالث عشر فيما جرى أيام الخليفة المتوكل في ذلك
- الفصل الرابع عشر فيما جرى أيام المقتدر بالله في ذلك
- الفصل الخامس عشر في ذكر ملعة من خرني اليهود ومكرهم وخبثهم
- الباب الثاني في وصف الأقباط وخياناتهم ويشتمل على خمسة عشر فصلاً ٤٠
- الفصل الأول في وصفهم بما اشتغلوا عليه من حيث الجملة
- الفصل الثاني في ذكر سبب اشتغالهم بالكتابة دون بقية الحرف
- الفصل الثالث في عموم تصرفهم من حيث لا يشعر بهم في الديار المصرية
- الفصل الرابع فيما اطلع عليه أحمد بن طولون من خيانتهم المشهورة وما اعتقده فيهم
- الفصل الخامس فيما جرى لهم مع محمد بن سليمان
- الفصل السادس فيما جرى أيام الحكم بأمر الله في ذلك
- الفصل السابع فيما جرى في ذلك أيام الامر وما جرى للملعون الراهن من المصادرية

الفصل الثامن فيما جرى من خيانتهم في أمر عريب المغنية

الفصل التاسع فيما جرى من تباهيهم أيام الحافظ

الفصل العاشر فيما جرى من إقدامهم على الشهادة في حجج المسلمين

الفصل الحادي عشر فيما جرى من تباهيهم في المساحة

الفصل الثاني عشر فيما جرى من تباهيهم على مرافقيهم من العدول وأنه لا يمكن ضبطهم عن الخيانة

الفصل الثالث عشر فيما جرى من تدقيق الحيلة من نصرياني على رفيق له يهودي مما هو من العجائب التي لا يُقدم عليها إلا هذه الطائفية الملعونة

الفصل الرابع عشر فيما جرى من تخاناتهم أيام العاضد حين كان السلطان الملك الصالح طلائع بن رزيك

الفصل الخامس عشر في ذكر السبب الذي لأجله صار إذا أسلم أحد منهم لكتيبة أو جائحة حصلت له جاء أنفسهم مما كان وأكثر خيانة وأقل أمانة وأشد قتة

باب الثالث في وصف الكتبة والكتاب وفيه فصول ثلاثة

الفصل الأول في وصف الكتبة وذكر من تزيها بها من غير أهلها وبإشر جليل شغلها

الفصل الثاني في ذكر من يجوز أن يوصف بالكتببة ويقال له كاتب وذكر شيء من

محاسنهم وما لهم من النثر ولو كملة واحدة لكل واحد يعرف بها فضله

الفصل الثالث في ذكر شيء من أسعار الكتاب الفضلاء ولو بيت واحد

باب الرابع في ذكر الجهات الذين تزيوا ببني الكتاب وليسوا منهم وفيه فصول ثلاثة

الفصل الأول في الأسعار التي قيلت فيهم قدماً وحديثاً

الفصل الثاني في عامية ألفاظهم وجهلهم

الفصل الثالث وبمعناه بني الكتاب فيما يحسن سلوكه بهم ومعهم من أخذ الأموال

التي اخترلواها من أموال المسلمين .

# الباب الأول في كراهيّة استعمال الذمّة في أشغال المسلمين وفيه خمسة عشر فصلاً

## الفصل الأول فيما ورد في الكتاب العزيز في ذلك

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا  
مِنْ خَلْفِهِ ﴾ ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لِئَلَّا مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ  
أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ حَالِدُونَ وَلَوْكَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أَنْزَلَ  
إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أُولَئِكَ ﴾ .

قلت فأخبر الله سبحانه أنه من يتولاهم سخط الله عليه وأنه بئس ما قدّمت له نفسه. ومفهوم هذه الآية أنَّ من تولاهم ليس به مِنْ بالله ولا رسوله ولا ما أنزل إليه وأي خطر أعظم من تمكّنهم من التصرف في أعمال المسلمين واستئثارهم على أموال رب العالمين؟

وقال الله سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَحَذَّدُوا إِلَيْهِمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ أُولَئِكَ  
بَعْضُهُمُ أُولَاءِ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ وفي هذه الآية ما يدل على كراهيّة استعمالهم وفيها ما هو أشد تصريحًا من الآية التي قبلها.

وقال سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَحَذَّدُوا عَدُوِّي وَعَدُوُّكُمْ أُولَاءِ  
إِلَيْهِم بِالْمَوْدَةِ وَقَدْ كَرِهُوا بِمَا جَاءُكُمْ مِّنَ الْحَقِّ ﴾ <sup>١</sup> وفي هذا التصرّح مفعّ وكفاية في الدلالة  
بل لو أراد الفقيه أن يستدل بهذه الآيات الشريفات على أن استعمالهم حرام بالنص  
لا تستدل. قلت وقد مضى في مقدمة كتابي الذي خدمت به الخرائن الشريفة المسماة  
بتصرّح القرآن بالنصر على من استعان بكفار العصر ما يعني عن إعادته هنا.

<sup>١</sup> كذا في ت؛ والآية ساقطة في ج.د. <sup>٢</sup> كذا في ت؛ وفي ج.د؛ بهاتين الآيتين. <sup>٣</sup> كذا في ت؛ والعبارة من (الذي) ساقطة في ج.د.

## الفصل الثاني فيما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك

قلت وقد ورد أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى غزوة بدر وكان في عدّة قليلة وهي ثلاثة وثلاثة عشر رجلاً ما فيهم سوى فارسين وكان الكفار أضعافاً مضاعفة وفي جمْعٍ كثير من الخيل والرجل فتبعه رجل من المشركين فقال إني أريد أن أتبعك فأصيِّبَكَ معك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال له ارجع فلن أستعين بمشرك فلحقه إلى موضع آخر فرأه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فساعدوه وكان فيه قرابة وسبعيناً وشدة فقال يا رسول الله جئت لأتبعك فأصيِّبَكَ معك فقال تؤمن بالله ورسوله قال لا فقال له ارجع فلن أستعين بمشرك ثم لحقه على ظهر باليداء فقال له كالقول الأول يا رسول الله جئت لأتبعك فأصيِّبَكَ معك فقال تؤمن بالله ورسوله فقال نعم فلماً أسلمَ استعان به وهذا أصل قويٍ يعتمد عليه في أنه لا يستعان بمشرك.

## الفصل الثالث فيما ورد من كلام الحكماء المتقدمين في ذلك

قلت ولم تزل الحكاء والعلماء والقعلاه والفضلاء يحرضون على الاستعانة بالأولياء والخلصين الصادقين ويحذرون من الأداء والثقة بهم وينهون عن الاستعانة بهم والاستكانة إليهم خلُقاً بعد حلف وسلفاً بعد سلف.

فمن قولهم في ذلك من استعمل عدوه وترك ولية شغل قلبه وأغضب ربِّه وتلف ماله واختلت أحواله وكان من أمر غده على خطر ومن فعله على غرر.<sup>١</sup> وقال بعض الحكاء المسلمين العجب من مؤمن يستخدم كافراً يخالفه في رأيه ويضاده في دينه واعتقاده. وقال آخر العجب كل العجب من يطرح ولئنْ مؤمناً عاقلاً كافياً ويستكفي عدواً كافراً جاهلاً. وقال آخر لا تصطعن من خالفك في الدين ولا تستخدم من عدم اليقين. وقال بعض الحكاء من اعتقد على كفارة السوء لم يخلُ من رأي فاسد. وقال آخر أتعجب الناس إلى المعتمد على عدو لا يرجو خيره ولا يأمن شره. وقال آخر

١ كذا في ت: وفي ج، د زبادة: بل ذلك مما يعزّ توقيه ويفوت تداركه وتلافيه.

الباب الأول في كراهة استعمال الذمة في أشغال المسلمين وفيه خمسة عشر فصلاً  
لا ضرر أعظم من استخبار من لا يصدق إذا خبر ولا أشد من استكفاء من لا  
يصح إذا ذهب.

وقال بعض الحكماء المسلمين أربعة لا تنتصف من أربعة: شريف من دين ورشيد<sup>١</sup>  
من غوي وبر من فاجر ومنصف من جائز فالمسلم شريف والكافر دين والمسلم رشيد<sup>٢</sup>  
والكافر غوي والمسلم بر والكافر فاجر والمسلم منصف والكافر جائز. وقال آخر في  
المسلم أربع خصال لا توجد في غيره: حسن العفاف وكثرة الإنفاق والرقة على أهل  
الدين وإنصاف المسلمين. وفي المشرك أربع خصال: قلة الديانة وكثرة الخيانة وغضّ  
المسلمين وإبعاد أهل الدين.

#### الفصل الرابع فيما ورد عن الإمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه في ذلك

قلت وقد جاء عن الإمام أبي بكر رضي الله عنه أنه خطب الناس فقال معاشر  
المسلمين رحمة الله بلغني رجوع قوم من المشركين عن دين الإسلام بعد دخولهم فيه  
 واستعملهم في مصالحه اغتراراً بالله وجهاً به وطاعةً للشيطان واتداءً به. وقد  
بعثت خالد بن الوليد وأمرته بقتالهم فقاتلتهم ومنع من استعمالهم في مصالح المسلمين  
فلا أرى استعمال مشرك في أمور المسلمين ومصالحهم.

#### الفصل الخامس فيما ورد عن الإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك

قلت ولما قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعض المهاجرين بمال من البحرين  
رقى المبر فهد الله وأثنى عليه وصلى على محمد نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال معاشر  
المسلمين رحمة الله قد جاءنا مال كثير فإن شئتم كلنا يكلا وإن شئتم وزنا وإن

١ كذا في د؛ وفي ت: سيد. ٢ كذا في د؛ وفي ت: سيد.

شتئم عدداً فقام إليه رجل وقال يا أمير المؤمنين قدرأينا الأعاجم يدونون دواوين  
فأمر عمر بوضع الدواوين في الأعمال وكتب إلى عماله أن لا يستخدموها كافراً يهودياً  
كان أو نصرايّاً.

وكب أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة سبع  
عشرة من الهجرة إن المال قد كثُر وليس يحصيه إلا الأعاجم يشير إلى الذمة فإنهم  
كانوا ضربوا على أهل البلاد التي قتوها الجزية وسأله أن يكتب إليه بما يرى فكتب  
إليه عمر لا تدخل هذا الأمر في دينكم ولا تسلموه إلى أعدائكم فيه ما منعهم الله عنه  
ولا تؤمنهم على أموالكم وتعلموا الكتابة فإنما هي حلية الرجال.<sup>١</sup> والمعنى الذي ذهب  
إليه عمر رضي الله عنه أن كل فضيلة يضع المسلمين أيديهم فيها يتقونها ويجهرون  
فونها ويظهرون مكونتها فالفضائل بهم حسنة ومنهم احسنست وعنهم أخذت  
ويفهم وجدهت فإذا كان الأمر بهذه المثابة فلا حاجة إلى غير المسلمين في شغل من  
الأشغال لا سيما في أجل الصنائع وأشرف المراتب وهي الكتابة.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي أخر بالهجرة فإنه سئل بم تؤرخ؟  
وكانت العرب تؤرخ بعام الفيل فقال عمر رضي الله عنه أرجعوا بالهجرة فإنها فرق بين  
الحق والباطل فقالوا بم نبدأ من الشهور؟ فقال بعض الحاضرين بشهر رمضان فإنه  
أنزل في القرآن فقال عمر لا بل بالمحرم فإنه منصرف الناس من جهنّم.

وكب عمر إلى عماله أمّا بعد فإنه من كان قبله كاتب من المشركين فلا يعاشره ولا  
يوازره ولا يقربه ولا يأتمنه ولا يعتمد برأيه ولا يجالسه ولا يستعمله فإن رسول الله  
صلّى الله عليه وسلم لم يأمر باستعمال المشركين ولا أذن فيه ولا خليفته من بعده.  
وهذا كلامي آمر بما أمر به رسول الله صلّى الله عليه وسلم ناه عنّا نهى عنه فلينته إلى  
ما رسم فيه وليحذر من تجاوزه وتعديه.

وكب معاوية بن أبي سفيان إلى عمر رضي الله عنه بما نسخته أمّا بعد يا أمير  
المؤمنين فإن في عملي كتاباً نصرايّاً لا يتم أمر الخراج إلا به وكرهت أن استخدمه دون

١ في سائر المخطوطات: تعلموا فإنما هي الرجال؛ والزيادة من الأحكام، ١٠٢١١.

أمرك. فكتب إليه عمر رضي الله عنه عافانا الله وإياك قرأت كتابك في أمر النصريين  
والجواب أما بعد فإن النصري قد مات والسلام.

٦٥١ ودخل عليه أبو موسى الأشعري وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فسلم وجلس ثم قال ائذن لكتابي يا أمير المؤمنين. فقال وما منعه من الدخول معك  
أجبه هو؟ فقال إنه نصري فتغير وجهه عمر وقال أتخذ على المسلمين كتاباً ذميّاً  
يسخّل دماءهم وأموالهم هل لا اخترت حيناً مسلماً يأمر بالعدل والإحسان؟  
قال لي كتابه وعليه وزره فقال عمر يحب عليك أن لا تقرّيه إذ أبعده الله ولا تعرّه  
إذا ذهّ الله ولا تكرمه إذا أهانه الله ولا تحبّه إذا أغضبه الله عملاً بقول الله سبحانه  
﴿وَمَنْ يُهِنَّ اللَّهُ مَا لَهُ مِنْ مُكَرِّرٍ﴾.

٧٥١ وكتب إلى أبي هريرة أما بعد فإن الناس نفرت عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركني  
إياك ثم أوصاه فقال في وصيته<sup>٢</sup> أبعد أهل الشرك وأنكر أفعالهم ولا تستعن في  
أمر من أمور المسلمين بمشرك. ولم ينقل أنه استعمل مشرك من المشركين في عمل من  
الأعمال زمان النبي صلى الله عليه وسلم ولا زمن أبي بكر ولا زمن عمر ولا زمن  
عثمان ولا زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

## الفصل السادس فيما ورد عن عبد الملك بن مروان في ذلك

١٦٦١ قلت وما جرى بعض النصارى أن سرجون بن منصور النصري كان يتولى عبد  
الملك بن مروان ديوان ماله<sup>٣</sup> فأمره بأمر خان<sup>٤</sup> فيه بلغ عبد الملك ذلك وعظم عليه.  
وقال ذلك لأبي ثابت سليمان بن قضاعة وكان يتولى ديوان الرسائل والخطاتم فقال له  
إن أراد أمير المؤمنين رجالاً فاضلاً مسلماً فعليه بمحبden يزيد الأنباري.  
واثق أن عرضت وهم يتحاطبان في ذلك رقة وفيها شعر وهو [البسيط]

١ كذا في ت: وفي د: علي. ٢ يبدأ نص خطوطة ب من هنا. ٣ كذا في ت: وفي ب: د: الشام. ٤ كذا في ت: وفي ب: خف: ج: حاف على الناس: د: بخلاف.

بِنِي أُمَّيَّةَ كُوَّا السُّنْنَ الْفَلَكَا  
كَذَّاكَ سَنَ رَسُولُ اللهِ وَالْخَلْفَا  
لَا تَرْضُوا الرُّومَ كُثُّبَا لِدَوْلَتِكُمْ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ الْعَذْوَانَ وَالْجَفَا  
فَأَشْتُمُ لِلْهُدَى نُورًّ يُضِيءُ بِهِ يُكَمِّلُ عَلَى هَبْجِهِ يَبْحَرِي إِذَا وَقَاتَا

فأمر بصرف النصاري المذكور للوقت وولي محمد بن يزيد الأنباري . وكانت دواوين الشام يكتب فيها بالروماني فقله إلى العربي ومن ذلك الوقت استخدم المسلمون عوضاً عن النصارى وذلك في سنة ثمانٍ وسبعين للهجرة .

## الفصل السابع فيما جرى من الحجاج في ذلك

قلت ولما ولـي الحجاج بن يوسف العراق كان به ديوانـان أحدهما بالعربي وهو الذي وضعه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه والآخر بالفارسية وكان مقتـلـه صالح بن عبد الرحمن فقال للحجاج يوماً كـثـرـهـيـ من قبل هؤلاء النصارى وإقادـمـهـمـ وخـيـانـاتـهـمـ فإنـ أمرـيـ الأـمـيرـ وـسـاعـدـيـ نـقـلـتـ دـيـوـانـ العـرـاقـ إـلـىـ الـعـرـبـيـ واستـرـتـ منـ جـنـيـاهـ هـؤـلـاءـ الـكـفـرـةـ وـخـيـانـاتـهـمـ وـتسـوـيفـهـمـ وـإـقادـمـهـمـ عـلـىـ ماـ يـوـجـبـ قـطـعـ أـيـدـيـهـمـ بماـ يـعـقـدـونـهـ فـيـ وـضـعـهـمـ الـحـسـابـ الـذـيـ وـضـعـهـ اللـهـ لـلـقـلـقـ فـوـصـلـوـهـ بـهـ إـلـىـ الـبـاطـلـ وـحـرـفـواـ أـقـلـامـهـمـ فـيـ إـلـىـ أـغـرـاضـهـمـ وـمـقـاصـدـهـمـ فـيـاسـعـدـهـ الـحـجـاجـ عـلـىـ ذـلـكـ فـقـلـهـ وـصـرـفـ الـنـصـارـىـ وـقـشـ سـكـةـ الدـنـاـنـىـرـ وـالـدـرـاـمـ بـالـعـرـبـيـ وـكـانـ مـنـقـوـشـاـ عـلـىـ الدـنـاـنـىـرـ بـالـرـوـمـيـ وـعـلـىـ الدـرـاـمـ بـالـفـارـسـيـ.

ولـوـأـخـذـتـ أـعـدـ مـثـالـ المـذـكـورـينـ لـضـاقـ الـعـرـمـ عـنـ بـعـضـ الـوـاقـعـ وـاتـسـعـ الـخـرـقـ عـلـىـ الـرـاقـ وـأـيـنـ هـؤـلـاءـ السـفـلـةـ الـأـرـاذـلـ الـأـسـقـاطـ الـمـذـكـورـونـ فـيـ هـذـاـ الـبـابـ مـنـ السـادـةـ الـمـتـقـدـمـينـ مـنـ الـوزـرـاءـ وـالـكـابـ الـذـيـنـ لـوـأـخـذـتـ أـصـفـ كـلـ وـاحـدـ مـنـهـمـ بـكـلـمـةـ مـنـ مـحـاسـنـهـ خـرـجـ الـكـابـ عـنـ الـقـصـدـ فـيـهـ وـأـفـيـتـ الـعـامـ وـمـاـ يـلـيـهـ.

## الفصل الثامن فيما ورد عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في ذلك

قلت وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عماله في الآفاق أمّا بعد فإنَّ  
١٠٨١ عمر يقرأ عليكم السلام ويقرأ عليكم كتاب الله المبين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَمُشْرِكُونَ بِمَحْسُورٍ﴾ جعلهم الله ﴿جِزَابَ الشَّيْطَانِ﴾ وجعلهم الآخرين ﴿أَعْمَالًا لِلَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ أولئك ﴿عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ واعلموا أنه لم يهلك من قبلكم إلا منعه الحق وبسطه  
يد الظلم وقد بلغني عن قوم من المسلمين فيما مضى إذا قدموا إلى بلد أهال الشرك  
فاستعاوا بهم في أعمالهم وكتابتهم لعلمهم بالكتابة والجباية وتديير المعيشة ولا خيرة  
ولا تديير فيما يغضب الله ورسوله وقد كانت مدة قضها الله تعالى ولا يعلم من أمير  
المؤمنين أحداً من العمال أبقي في عمله رجالاً متصرفاً على غير دين الإسلام إلا نكل به  
فإنَّ حموأعمالهم كمحودينهم وإنزالهم منازلهم التي خصّهم الله بها من الذلة والصغراء  
وليكتب إلى كل منكم بما فعله في عمله.

٢٠٨١ وأمر أن يمنع النصارى واليهود من الركوب على السروج ولا يمكن أحد من الذمة  
من دخول المهام يوم الجمعة إلا بعد انتهاء الصلاة ويقدم إلى الحرس بأن يقفوا على  
رؤوس النصارى واليهود عند ذبيحة ما يذبحونه وأن يذكر اسم الله واسم محمد صلى  
الله عليه وسلم عليها. وكتب إلى حيان عامله على مصر باعتماد ذلك فكتب إليه أمّا  
بعد يا أمير المؤمنين فإنه إن دام هذا الأمر في مصر أسلمت الذمة وبطل ما يؤخذ  
منهم. فأرسل إليه رسولًا جلداً وقال له ائت مصر فاضرب حيان على رأسه ثلاثة  
سوطاً أدباً على قوله وقل له ويبارك يا حيان من دخل دين الإسلام ضع عنه الجريمة  
فوددت لو أسلموا كافةً إنَّ الله بعث محمداً داعياً لا جائياً.

٣٠٨١ وأمر بهدم بيع النصارى المسجدة فقيل إنَّ القبط توصلوا إلى بعض ملوك الروم  
وسألوه في مكتبة عمر بن عبد العزيز فكتب إليه أمّا بعد يا عمر فإنَّ هؤلاء الشعب  
سألوا في مكتباتك لتجري أمرهم على ما وجدتها عليه وأنْ تُبقي ها سبهم وتمكّنهم من

١. كذا في ب، د؛ وفي ت: مسلم.

عمارة ما خرب منها فإنهم يزعمون أنَّ من تقدَّمك فعل في أمر كائسهم ما منعهم منه فإنَّ يكنَّ المصيب في اجتهاده فاسلك سنته وإنْ تكونَ مخالفًا له فافعل ما أردت. فكتبَ إليه مثلي ومثل من تقدَّمني مثل ما قالَ الله عزَّ وجلَّ «وَذَوْدَ وَسُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمُنَّ فِي الْحَرَثِ إِذْ نَقَشَتْ فِيهِ غَمَّ الْقَوْمِ وَكَا لَحْكُمُهُمْ شَاهِدِينَ فَهَمَّنَاهَا سُلَيْمانَ وَكَلَّا آتَنَا حُكْمًا وَعَلَّ».١

وقالَ أَسِيدُ أَنَا كَابُّ عَمْرُ بْنِ عَبْدِ الرَّزِيزِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْمَنْشَرِ<sup>٢</sup> أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ فِي عُمْلِكَ كَاتِبًا نَصْرَانِيًّا يَتَصَرَّفُ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى غَيْرِ دِينِ الإِسْلَامِ وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْتَدُوا الَّذِينَ اخْتَدُوا دِينُكُمْ هُرُونَ وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قِبْلِكُمْ وَالْكُفَّارُ أُولَئِكَ وَاقْتُلُوا اللَّهَ إِنْ كُنُّتُمْ مُّؤْمِنِينَ» فَإِذَا أَتَاكَ كَاتِبٌ هَذَا فَادْعُ حَسَانَ بْنَ يَزِيدَ إِلَى دِينِ الإِسْلَامِ فَإِنْ أَسْلَمَ وَلَا تَسْتَعْلِمْهُ فِي شَيْءٍ مِّنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ فَامْتَشِلْ وَأَسْلِمْ حَسَانَ بْنَ يَزِيدَ وَحْسِنْ إِسْلَامَهُ.

## الفصل التاسع فيما جرى أيام الخليفة المنصور في ذلك

قيل انتبه المنصور يوماً مرعوباً من مضجعه فأحضر الريح وقال اذهب إلى باب الشام فإنك ترى رجلاً فاتني به قال الريح فرجت أعدو حتى وصلت إلى الموضع الذي ذكر لي فإذا الرجل قائم مستند إلى الباب فقلت أجب أمير المؤمنين قال نعم فأتت به إلى المنصور وإذا هو جالس ينتظري فلما بصر بي قال هذا هو؟ قلت نعم فقال ما ظلامتك قال يا أمير المؤمنين إنَّ بالأنبار كاتباً نصراً نياً غصبي ضيعة وسألني بيعها فامتنعت فسعي بي إليك وكتبَ أنَّ الضيعة المذكورة من جملة ضياع بني أمية المرجعة لأمير المؤمنين وأقسم بأيمانه الكاذبة لئن رجعت تذكر الضيعة لأسعين في دمك كما سعيت في ضياعك فقلت أيها الرجل أتأخذ ضياعي على اسم أمير المؤمنين وتأمر بمحسي ثم تهددي بالقتل فقال له المنصور ما الذي قلت وأنت قائم على باب المدينة قال قلت اللهم إناك حليم ذو أناة فلا صبر لي على أناتك فقال المنصور بها

١ كذا في ت: وفي ب: د: يكن. ٢ في سائر المخطوطات: المبشر، والمثبت من الأحكام، ١:٢١٤.

والله أعلم بكتابه يا رب العالمين هذا النصراي وخذ بضيوع هذا المظلوم منه وسلمها إليه. وكان المنصور قد أمر بأن يقبض كلما خلفه بنو أمية فصار الكلب النصراي يتعرض إلى أملاك الناس المطلقة وضياعهم التي ما ملكها أحد منبني أمية فقط فمن صافعه تركه وخلي سبيله ومن لم يصافعه أهانه وضربه على ملكه وما له وقال هذا كله لبني أمية ورفع منه في حسابهم ما أراد.

فلم تأجح المنصور أجمع الناس إلى باب شبيب بن شيبة وسألوه أن يسأل المنصور النظر في حالهم ورفع المظالم عنهم وأن لا يمكّن النصارى من ظلمهم. قال شبيب فيما أنا أطوف بالكببة فإذا المنصور يطوف خلفي فاما رأني شبك أصابعه على أصابعه وطفنا جميعاً فقتلت يا أمير المؤمنين أتا ذن لي أن أكلمك بما في نفسي فقال قل ما شئت فقلت له موعدة قلت في آخرها إن دون أبوابك يرانا تأجح من الظلم والجور ولا يُعمل فيها بكتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلم أنك سلطت أهل الذمة أعداء الدين على المسلمين فظالمونهم وعسفوهم وأخذوا ضياعهم وغضبوهم أموالهم وجاروا عليهم وتوصلوا بسبب خدمتك إلى أغراضهم من المسلمين لعداوتهم لهم الشاهد بها القرآن وقد جعلوك سلاماً يردون عليه إلى نيل شهواتهم فإنهم لن يغدوا عنك من الله شيئاً **﴿يَوْمَ لَا يَنْقُعُ الظَّالِمُونَ مَعَذِرَتُهُمْ صَوْلَاهُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾** فقاتل المنصور يا شبيب خذ خاتمي وابعث به إلى من تعرفه من المسلمين ينادي في الناس كافةً وعامةً إلا من ظلمه ذي فليسك بتلايبه ولحضوره إلى لأنصفه منه ثم قال يا رب أكتب إلى الأعمال كلها واصرف من بها من أهل الذمة ومن أتاك به شبيب من المسلمين فأعلمنا بمكانه لوقع باستخدامه عوضاً عن الذمة وذلك في سنة ثمانٍ وخمسين ومائة.

١ في سائر المخطوطات: ومائتين؛ وذلك خطأ لا محالة لأن المنصور توفي سنة ١٥٨. وتوجد في بـ دـ زيادة: والله أعلم؛ ويأتي في هامش تـ: صوابه ومائة.

## الفصل العاشر فيما جرى في ذلك أيام الخليفة المهدى

وذلك أنه اجتمع جماعة كثيرون من المسلمين أيام المهدى إلى بعض الزهاد وسألوه ١٠١٠١ الحديث معه في أمرهم وأنهم ما بين مظلوم في نفسه ومظلوم في ماله فالمظلوم في نفسه من يصرف ويستبدل عنه في الشغل الذي كان فيه النصراوى أو اليهودي والمظلوم في ماله من يستضعف فيغصب ماله. وكانت للزاهد عادة أنه يحضر إلى الخليفة في وقت مخصوص على عادة أصحاب الزوايا بخاتمة حجاب الخليفة خلفه ليحضر على عادته فامتنع فلما بلغ المهدى امتناعه من الحضور مشى إليه وسأله عن سبب تأخره فقصّ عليه اجتماع طائفة كثيرة من المسلمين إلى بابه شاكين من ظلم الذمة لهم وقيح تصرفهم فيهم وأنشد له [الكامل]

إِبْيَانُ وَأَيِّ ضَاعَتِ الْأَذْهَانُ وَالْأَهْمَامُ  
أَمْ ضَاعَتِ الْأَحَلَامُ مَنْ صَدَّ عَنِ دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ  
أَلَّا تَكُنْ أَسِيَافُهُمْ مَشْهُورَةً إِلَهٌ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ قِيَامٌ  
فِيهَا فَكِانَ سُيُوفُهُمْ أَقْلَامٌ

ثم قال يا أمير المؤمنين إنك تحملت أمانة هذه الأمة وقد عرضت «الأمانة على السماوات والأرض والنجد فأباين أن يحملنها وأشققن منها» فقسم الأمانة التي خصك الله بها للذمة دون المسلمين وماذا يكون جوابك غداً بين يدي «أسرع الحاسين»؟ فأمر من حينه بعن كل كاتب نصراوى وكتب إلى العمال بالأفطار لا يستكتبوا أحداً من الذمة وأن ينادي في كل عمل أن أمير المؤمنين أمر بأن كل من استكتب ذميماً قطع رزقه وقطعت يده. فاستكتب شاهو<sup>١</sup> كاتباً نصراوى قطعت يده في الحال.

وكان للمهدى قبل ذلك كاتب نصراوى على ضياع بعض جهاته بالبصرة فظلم ٢٠٠١ الناس في معاملته لهم فقتل المظلومون إلى القاضي سوار خضر وكلاه النصراوى وحضرت بيته تشهد على النصراوى بظلم الناس وتعديه مناجي الحق وسبله فضى

<sup>١</sup> كذا في بـ دـ وفي تـ شاهوـ.

النصري إلى المهدى وأخذ كتابه إلى القاضي سوار بالثبت في أمره فجاء النصري إلى البصرة ومعه الكتاب وجماعة من حميق النصارى وركب وهم حوله وجاء إلى المسجد الذي فيه القاضي سوار فوجده جالساً للحكم فدخل المسجد وتجاوز المكان الذي كان ينبعى له الوقوف عنده فمنعه الخدم فلم يعبأ بهم وبسبعين ودنا حتى جلس عن يمين القاضي سوار ثم دفع له الكتاب فوضعه بين يديه ولم يقرأه وقال له ألسنت نصري أنا فقال بلى أصل الله القاضي فرفع رأسه وقال للخدم جروا برجله فسحب إلى باب المسجد وعقوب على ذميم فعله تأدبياً بليغاً. وحلف القاضي أن النصري لا يرجح واقفاً في موقف الذلة والهوان حتى يوفي المسلمين حقوقهم فامثل. وبلغ ذلك المهدى فكتب إلى القاضي سوار يشكّره على فعله وأمره أن يستخدم في شغله مسلماً عوضه.

## الفصل الحادى عشر فيما جرى أيام الخليفة هارون الرشيد

قيل ولما ولَّ هارون الرشيد الفضل بن يحيى بن خالد أعمال خراسان ولَّ<sup>١٠١١</sup> جعفر أخيه ديوان الخاتم وأمرها بالنظر في المصالح المتعلقة بال المسلمين عمر المساجد والجوامع والمرافق والصهاريج للسبيل وعملاً المكاتب لآيتام المسلمين وأجرياً لهم الأرزاق وصرف كلّ منها الذمة عن أشغال المسلمين ودواوينهم وخرب الفضل معابدهم بخراسان وأمر ألا يمكّنوا من بياض شيء مما يقي منها في البلاد كيلاً يتشبهوا بمساجد المسلمين .

## الفصل الثاني عشر فيما جرى في ذلك أيام الخليفة المؤمن

قال عمر بن عبد الله الشيباني استحضرني المؤمن ولد الرشيد أيام خلافته في بعض الليالي ونحن بمصر وقد كثُرت سعيات<sup>٢</sup> النصارى وتظلم منهم المسلمين فأمر بالكشف عنهم فوجد النصارى قد خانوا السلطان في المال وفاز به بعضهم دون

١ كذا في ت وفي ب، د، آه. ٢ كذا في ت؛ والعبارة من (في) ساقطة في ب، ج، د. ٣ ت: شكايات؛ ب، د: شعابات؛ والمثبت يقتضيه السياق.

بعض فقال لي المؤمن يا عمر أترى من أين أصل هؤلاء القبط قلت لهم بقية الفراعنة الذين كانوا بمصر وقد نهى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن استخدامهم في أمر من أمور المسلمين فقال صد لي كيف كان تناسلهم بمصر فقلت يا أمير المؤمنين لما أخذ الفرس الملك من أيدي الفراعنة قتلوا القبط فلم يبق منهم إلا من اصطنعه يد الهرب واختفى بأنفسنا والأقصريين فتعلموا أطباً وكتاباً فلما ملك الروم ملك الفرس كان القبط سبب إخراج الفرس من ملوكهم بسعدهم والمكتبة عليهم ولم يزالوا في مملكة الفرس إلى أن ظهرت كلمة المسيح عيسى بن مریم عليه السلام. وفيهم يقول خالد بن صفوان [الكامل]

يَا عَمِّرٌ وَقَدْ مَلَكْتَ يَمِينَكَ مِصْرَنَا  
وَمَلَكْتَ فِيهَا الْعَدْلَ وَالْإِفْسَاطَا  
فَأَقْبَضْتَ<sup>٢</sup> بِسَيْفِكَ مَنْ تَعَدَّ طُورُهُ  
فِيهِمْ أَقِيمَ الْجُورُ فِي جَنَابَتِهَا  
وَرَأَى الْأَنَامُ الْبَغْيَ وَالْإِفْرَاطَا  
لَا تَرْكَنْ إِلَى النَّصَارَى إِنَّهُمْ  
شَعْبٌ عَلَى دِينِ الْإِلَهِ تَحَاطَا  
إِنْ كُثُرَ فِي طَاعَاتِهِ مُحْتَاطَا  
وَادْكُرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَوْلَهُ  
لَا تَحْفَظْنَ لِشَرِيكِ عَهْدًا وَلَا

٢٠١٢١ في في نفس المؤمن منهم حزارات فلما عاد إلى مقر مملكته وحمل خلافه أساو واعلى الكسائي الاعتماد وجاهروه بالظلم والبغى والفساد فافتقد أن قرأ عليه المؤمن قوله تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْدُنَوْا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مُنَاهَىٰ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» وقال الكسائي أيقراً أمير المؤمنين كتاب الله ولا يحمل بما فيه قال ولم يقص عليه قصته فأمر المؤمن بإحصائهم فكان عدة من صرف منهم وسجن ألفين وثلاثمائة كاتب.

٢٠١٢١ وبقي جماعة من اليهود مخازين إلى حماية بعض جهاته فخرج توقيعه بما نسخته أخبت الأم اليهود وأخبت اليهود السمرة وأخبت السمرة بتوحيد فليقطع ما

١ كذا في ب، ج، د؛ وفي ت: عمر. ٢ كذا في ت؛ وفي ب، ج، د: فاصل. ٣ وزيادة هنا في هامش ت: تواطى.

باب الأول في كراهة استعمال الذمة في أشغال المسلمين وفيه خمسة عشر فصلاً

بأسماائهم من ديوان الجيش والخرج إن شاء الله تعالى.<sup>١</sup> ودخل بعض الشعراء على  
المؤمنون وفي مجلسه يهودي جالس فأنسده<sup>٢</sup> [السريع]

يَا أَبْنَى الَّذِي طَاعَتْهُ فِي الْوَرَى وَحُكْمُهُ مُفْتَرَضٌ وَاجْبُ  
إِنَّ الَّذِي شُرِّفَ مِنْ أَجْلِهِ يَرْعَمُ هَذَا أَنَّهُ كاذِبٌ

فقال المؤمن لليهودي أصحح ما يقول هذا قال نعم فنظم على المؤمن ذلك وأمر  
بقتل اليهودي فأسلم من ساعته. فانظر إلى هذا التحرق وبماهرة هذا الكلب  
اليهودي لل المسلمين بين يدي خليفة الله في أرضه وإقادمه بحضور خلفاء الإسلام  
وسادات الأنام على مثل ذلك.

وأنشد بعض المتأخرین في بعض النصاری وکان یدعی بابن الفار [الرمل]  
٤١٢٠١

سَلَطَ اللَّهُ عَلَى أَبْنَى الْقَاتِلِ مِنْ نِعَالٍ  
مُحْكَمُ الدَّيْنِ بِكَدِيمُ الْخَرْمَنِ مِنْ جَلْدِ الْمَالٍ  
شَعْبُ الشَّهْوَةِ لَا يَصْتَطِعُ طَادِ إِلَّا فِي الْقَذَالِ

وقال آخر [الطویل]

بَرِي جَسَدِي حُمُقُ النَّصَارَى وَجَهْلُمُ  
وَشَهْمُ الْغَافِرَاتِ فِي الْمَالِ ظَاهِرًا  
تَرِي كُلَّ قِبْطِي لَدِي الْأَلْفِ عَكْتَرَا  
إِذَا لَاحَ فِي الْعَيْوَقِ فِلَسٌ يَلْفَهُ  
وَجَحْمُ فِي تِلْكَ الْأَنَاءِ مِلْ بُتْكَ  
فَكَازُوا مِنْ الْدِينِ كَا يَظْلِبُونَهُ وَمَا وَاهُمُ فِي الْحَسْرِ نَارُ جَهَنَّمَ

١ كذا في ت: والقصة ساقطة في ب، ج، د، ويأتي مكانها: وكان بعض اليهود قد استولى على المؤمنون ولعل منه حلاً عظيماً.  
٢ كذا في ت: والعبارة من (وفي) ساقطة في ب، ج، د، ويأتي مكانها: واليهودي عنده فلاناً رأه جالساً بالقرب منه أنسده.  
٣ كذا في ت: وفي ب، ج، د: حبة.

### الفصل الثالث عشر فيما جرى أيام الم توكل في ذلك

قيل في أيام الم توكل استحوذ النصارى الكتب على الولايات في الدواوين شرقاً<sup>١٠٣١</sup> وغرباً يتوصّل بعضهم بعض حتى خدموا الجهات البخارى كجهات أم الم توكل وحرمه وجهات أستاداره وماليكه ملوك الأطراف وغيرهم. وسبب ذلك أنه تكرر طعنهم في الكتاب المسلمين ورفعوا حسابات من جهات متعددة تشهد بتأخر جيل أموال في جهات الكتاب المسلمين زوراً وبهتاناً وكذباً وافتراً محضاً وكرروا ذلك في سمع الم توكل وجعلوا في الحساب باسم بعض النصارى متأخراً يسيراً حقيراً يكلاً ينسبوا إلى الغرض في المسلمين فكه الم توكل كتاب المسلمين لأجل ما قرروه في سمعه. وكان من كتاب النصارى سلمة بن سعيد وكان الم توكل يائساً به ويحاصره ويسامره فقال يوماً ويلك يا سلمة ترك مجلسنا وقضى إلى من دوننا<sup>١</sup> إنك لا تحق ف قال يا مولانا اترك لأنك تلازم الصحاري والصيد وأنا أمضي إلى معادن الذهب والفضة تلقى والله بين يدي الأموال فأشرب عليها وأنتفكه فيها ولقد جئت الآن وتركت ورأي من ذلك ما لا أقدر على وصفه فقال له الم توكل ويلك وهذا كل<sup>٢</sup> عند من فقال عند الحسن بن مخلد وأحمد بن إسرائيل وموسى بن عبد الملك وميمون بن هارون ومحمد بن موسى يشير إلى كتاب المسلمين الذين أسماؤهم في الحساب الذي رفعوه يشهد بتأخر الأموال الكثيرة في الجهات التي هم متولوها حسب ما كذب النصارى عليهم. فقال الم توكل ما تقول في عبد الله بن يحيى فسكت عنه فقال له الم توكل بحياتي عليك قل ما عندك فقال قد حلقتني بحياتك ولا بد من صديقي لك على كل حال لوالله يا أمير المؤمنين لقد صاغ له صوالح وأركاً من ثلاثين ألف دينار فقتلت له أمير المؤمنين يضرب كرة جلد بتصوّلجان خشب وأنت تضرب كرة فضة بتصوّلجان ذهب فتغير وجه الم توكل وقال للفتح بن خاقان أحضر هؤلاء وضيق عليهم فأحضر جماعة كتاب المسلمين وعلموا ما وقعوا فيه مع الكافر الملعون فاجتمعوا إلى عبد الله بن يحيى فأنفذ رسوله إلى سلمة بن سعيد النصري وعاتبه على ما جرى منه فاعتذر إليه إيه ما قلت ذلك إلا

١ كذا في ت وفي ب، ج، د: إلى سرت من رأي. ٢ كذا في ب، د: والعبرة من (ويلك) ساقطة في ت.

لأنَّ السُّكْرَ غَلَبَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ كَذَبَ وَأَخْرَعَتْ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَكْرَ والصَّوْلَجِ. فَيَقِي خَطْهُ عَنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَىٰ بِذَلِكَ فَدَخَلَ عَلَىٰ الْمُتَوَكِّلِ وَعَرَفَهُ بِمَا تَمَّ مِنْ كِتَابِ النَّصَارَىٰ فِي الْحِسَابِ الْمُرْفُوعِ مِنْ جَهَةِ كِتَابِ الْمُسْلِمِينَ وَأَوْقَهُ عَلَىٰ رِقْعَةِ سَلَمَةَ بْنِ سَعِيدِ النَّصَارَىٰ يَشَهِدُ عَلَيْهِ خَطْهُ فِيهَا أَنَّهُ كَذَبَ وَقَالَ هَذَا قَصْدُهُ أَنْ تَخْلُوُ الدُّولَةُ مِنَ الْكِتَابِ الْمُسْلِمِينَ لِيَمْكُنَّ هُوَ وَرَهْطُهُ الْكُفَّرَ الْمَلَائِعِنَ مِنْهَا.

وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ قَدْ رَثَبَ مِنْ يَحْضُورِ الظَّالِمِينَ إِلَيْهِ عَلَىٰ خَلْوَةٍ فَأَحْضَرَ بَيْنَ يَدِيهِ شِيخَ<sup>٢٠١٣٠١</sup> كَيْرَ ذَكْرَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ دَمْشُقٍ وَابْنِ سَعِيدِ بْنِ عُمَرٍ<sup>١</sup> النَّصَارَىٰ غَصْبَهُ دَارَهُ. فَلَمَّا وَقَفَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَىٰ قَصَّةِ الشِّيْخِ اشْتَدَّ غَصْبُهُ إِلَىٰ أَنْ ظَهَرَ ذَلِكُ عَلَيْهِ وَأَمْرَأُنَّ يَكْتُبَ إِلَىٰ صَاحِبِ عَامِلِهِ بَرَدَ دَارَهُ. قَالَ الْفَقِيرُ بْنُ خَاقَانَ فَقَمَتْ نَاحِيَّةً لِأَكْتُبَ مَا أُمْرِنِيَّ بِهِ فَبَعْثَ إِلَيْ رَسُولًا يَسْتَخْتَبِي فَجَرَتِ الْكِتابَةُ وَبَادَرَتْ بِهِ إِلَيْهِ فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ زَادَ فِيهِ بَخْطَهُ ثُقِيتُّ عنْ ظَهَرِ الْعَبَاسِ لَئِنْ تَأْخَرَ مَا أُمْرِتُكَ بِهِ لَاتَّيَّ بِرَأْسِكَ. وَوَصَلَ الشِّيْخُ بِالْفَ دِينَارٍ وَأُرْسَلَ مَعَهُ حَاجَّاً فَسِلَّمَ إِلَيْهِ دَارَهُ وَكَبَّهَا.

فَظَلَّمَ النَّاسُ مِنَ الْكِتابِ النَّصَارَىٰ وَتَبَاعَتِ الْإِسْتَغْاثَاتُ عَلَيْهِمْ. ثُمَّ حَجَّ الْمُتَوَكِّلُ عَلَىٰ<sup>٢٠١٣٠١</sup> اللهِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ فَرَأَىٰ الْحَرَسَ رَجُلًا يَطْوِفُ بِالْبَيْتِ حَاسِرَ الرَّأْسِ وَهُوَ يَدْعُونَ عَلَىٰ الْمُتَوَكِّلِ فَأَمْسَكُوهُ وَجَاؤُوهُ بِإِلَيْهِ فَأَمْرَ بِعِقْبَتِهِ عَلَىٰ مَا صَدَرَ مِنْهُ. فَقَالَ وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا قَاتَ ذَلِكَ إِلَّا وَقَدْ أَيْقَنْتُ بِالْقَتْلِ فَاسْمَعْ كَلَامِيْ وَمَرِّ بَقْتِيْ فَقَالَ قَلْ فَقَتَلَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ اكْتَسَفَ دُولَتِكَ كِتابَ الذَّمَّةِ فَأَحْسَنُوا الْأُخْتِيَارَ لِأَنْفُسِهِمْ وَابْتَاعُوا دُنْيَاهُمْ بِفَسَادِ آخِرَتِكَ وَأَنْتَ مَسْؤُلٌ عَمَّا اجْتَرَحْتُهُ وَلَيْسُوا مَسْؤُلِينَ عَمَّا اجْتَرَحَتْ فَلَا تُصْلِحُ دُنْيَاهُمْ بِفَسَادِ آخِرَتِكَ إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسَ صَفَقَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَصْلِ دُنْيَا غَيْرِهِ بِفَسَادِ آخِرَتِهِ. فَبَكَ الْمُتَوَكِّلُ حَتَّىٰ سَعَ صَوْتُ بَكَاهُ وَطَلَبَ الرَّجُلَ فَلَمْ يَوْجُدْ.

خَرَجَ أَمْرُهُ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَىِ الْأَعْمَالِ بِأَنَّ لَا يُسْتَخْدِمَ أَحَدُ مِنَ الذَّمَّةِ فِي أَمْرِ مِنْ أَمْرَهُ<sup>٤٠١٣٠١</sup> الْمُسْلِمِينَ وَلَا يُسْتَكْفَىٰ مِنْ نَسْلَهُمْ وَلَا يُسْتَصْلِحُ مِنْهُمْ أَحَدٌ لِعَلْمِ مِنْ أَعْمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّىٰ يَكُونَ لَهُ سَبْعَةُ أَجْدَادٍ مُسْلِمِينَ وَلَا تَقْبَلُ شَهَادَةُ أَحَدٍ مِنْهُمْ حَتَّىٰ يَعْدَ لَهُ سَبْعَةٌ

١ كذا في ت: وفي ب، ج، د: عون.

أجداد المسلمين ولا يمكنوا من لبس الثياب البيضاء كيلا يكثروا تشبههم بال المسلمين وأن يلبسو العسلية من الثياب ويكون ركب سروجهم خشبًا وتهدم بهم المسجدات بعد بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبقى منها إلا ما كان قبلبعثة ولا يمكنوا من بياض كأنفسهم وتضاعف عليهم الجزية ولا يغسل لهم في دخول حمامات المسلمين ويُفرج لهم حمامات خدمها ذمة ولا يستخدموا مسلماً في حوالتهم ويعين لهم في كل عمل رجل عريق في الإسلام يحتسب عليهم.

وأمر بكتب كتاب نسخته أما بعد فإن الله أصطفى الإسلام ديناً فشرقه وكرمه وأثاره ٥،١٣٠١ ونصره وأظهره وفضله وأملاكه وجعله الدين الذي لا يقبل غيره فقال سجانه تعالى **«وَمَنْ يَتَّبِعَ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيَنًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الظَّالِمِينَ»**. وبعث نبيه ورسوله وحبيبه وصفيه وخيرته من خلقه ملائكة صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وإمام التقين وسيد المرسلين **«لِئِنْدِرَ مَنْ كَانَ حَيَا وَيَحْقِّقَ الْقَوْلُ عَلَى الْكُفَّارِينَ»**. وأنزل كتاباً عزيزاً عربياً مبيناً **«لَا يَأْتِيهِ الْبَاطُولُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ صَلِّ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»** أسعده به أمته وجعلهم **«خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجَتِ اللِّنَاسُ تَمَرُّ وَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ»** وأهان الشرك وأهله ووضعهم ومقدتهم وأصغرهم وأخلهم وأذلهم وخذلهم وتبرأ منهم وضرب عليهم الذلة والمسكينة وقال تعالى **«قَاتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحِرِّمُونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجُزِيَّةَ عَنِ يَدِهِمْ صَاغِرُونَ»** فطبع على قلوبهم ونقل صدورهم وخيّبت سرائرهم وضيّعوهم ونهي عن ائتمانهم والثقة بهم لعداوتهم لل المسلمين وغشهم وبغضائهم فقال تعالى **«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخَذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ حَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ يَبَيَّنَ لَكُمُ الْآيَاتِ صَلِّ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ»**. وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أنَّ أنساً لا رأي لهم ولا رؤية من العمال يستعينون بأهل الذمة في أعمالهم ويختذلونهم بطانةً من دون المسلمين ويسلطونهم على الرعية فيعسفون بهم

ويسيطرون أيديهم في ظلمهم وقهرهم وغشهم والعدوان عليهم فأعظم أمير المؤمنين ذلك وأكبره وتبرأ إلى الله منه وأحبت القرب إلى الله ورسوله بمحسنه والنهي عنه. ورأى أن يكتب إلى عماله بالكور والأمصار وولاة الفحور والأمراء والأجناد في ترك استعمالهم الذمة في شيء من أعمالهم وأمورهم والإشراف لهم في أمانتهم وما قلدهم أمير المؤمنين واستحفظهم إياه إذ جعل في المسلمين الثقة والمدين والأمانة على إخوانهم المؤمنين وحسن الرعاية لما استرعوا والكافية لما استكروا والقيام بما حملوا ما أغنى عن الاستعانة بأحد من المشركين بالله المكذبين لرسله المجاهدين لآياته المحاذفين معه إلهًا آخر لا إله إلا هو وحده لا شريك له. ورجاء أمير المؤمنين بما أهله الله من ذلك وقدف في قلبه أن يكون له جزيل الثواب وكريم المتأب وبالله يستعين أمير المؤمنين على نيته في تعزيز الإسلام وأهله وتذليل الشرك وحزبه فليعلم هذا من رأي أمير المؤمنين فلا يستعن في دولته ولا أيامه في طرف من أطراف البلاد بأحد من المشركين وتنزل أهل الذمة منازلهم التي خصمهم الله بها. ولicerca كتاب أمير المؤمنين هذا على أهل كل عمل ويشع فيهم ولا يعلمن أمير المؤمنين أن أحداً من عمال أعماله ولا من عمالهم وأعوانهم استعن بأحد من أهل الذمة في عمل من الأعمال.

فلما قرئ الكتاب أسلم جماعة من أعيان النصارى المشهورين كأبي نوح عيسى بن ابراهيم وقدامة بن زيادة والهيثم بن خالد وعبد الله بن الأبرش وسهلان وعبدان الواسطي وغيرهم من الكتاب وتظاهرروا بالإسلام خوفاً مما أمرهم به وأماماً أمر بواطنهم وسرائرهم إلى الله الذي ﴿يَعْلَمُ حَائِثَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُنْجِي الصُّدُورُ﴾ .<sup>٦١٣٠١</sup>

### الفصل الرابع عشر فيما جرى في ذلك أيام المقتدر بالله

قيل خرج أمر المقتدر بالله بأن لا يستعمل الذمة في أمر من أمور المسلمين وبقض على أبي ياسر النصري الكاتب عامل مؤنس<sup>٢</sup> الحاجب وأخذ جميع ما يملكه من ذهب وفضة وحلى وحلل ولائ وجواهر وأثاث فاخر.<sup>١٠١٤٠١</sup>

<sup>١</sup> كذا في ت: وفي ب: د: أعون. <sup>٢</sup> ت: شوس؛ ب: د: سوس. والمثبت من الأحكام، ١:٢٢٤.

وكتب ابن الفرات بما نسخته عوائد الله عند أمير المؤمنين أطال الله بقاه توفي على  
٢٠١٤١ غاية رضاه ونهاية أمانيه . وليس يظهر أحد عصيانه إلا جعله الله موعظة للأئم  
ومثله في الأيام **وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقامَةٍ** فمن نكث ومرق وغدر وفسق وعصي  
وطغي وبغى وخالف أمير المؤمنين وخالف محمدًا صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسعي في فساد  
دولة أمير المؤمنين وملكته وقصد أدية قواه وخواصه ورعيته عاجله أمير المؤمنين  
بسطوه وظهر من رجسه أيام دولته **وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** . وقد أمر أمير المؤمنين بترك  
الاستعانت بأحد من الذمة في عمل من أعمال المسلمين فيحذر العمال تجاوز أوامر أمير  
المؤمنين ونواهيه والسلام .

### الفصل الخامس عشر في ذكر لمعة من خري اليهود وخبثهم وغشهم

قيل إن المقداد بن الأسود الكندي جمعته الطريق في بعض أسفاره مع يهودي  
٢٠١٥١ فوجعت دابة اليهودي فساعدته عليها ثم تعب وعجز عن المشي فركبه فلما وصل إلى باب  
المدينة أمسك المقداد اليهودي وقال سمعت رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول  
ما صحب مسلم يهودياً ولا عامله إلا غشه وأنت فساري إلى المدينة في أي شيء  
غضشتني؟ فقال اليهودي الغش يكون في معاملة وأنا ها عاملتك أو في أكل وشرب  
ولم يجر بيتك ذلك فشدد المقداد عليه القول وخوفه وهدده فقال اليهودي أنا مني على  
نفسى فأصدقك قال نعم قال صدق والله نبيك لما أعيني الأمر ولم أقدر على مكروه  
أوصله إليك كنت أمشي بنعلي على ظلك المتند وأدوس ظل رأسك بقوه وثاقل  
فيحصل لي اشتفاء في الجلة وتصور قدرة على إهانتك وأذاك .

وكان رجل يُعرف بابن الهاوري اليهودي عند بعض الملوك بمنزلة رفيعة زائدة على  
٢٠١٥١ رتب اليهود فلعب معه الشترنج في مجلس شرایه على تمني حاجة في نفسه ووعده  
أنه متى اقترح عليه أمراً عظيم القدر قضاه له فلما فرغ من لعبه وغلبه سأل الملك  
وفاء ما وعده من إبلاغه ما تمناه فقال له الملك سل فقال تضع من آي القرآن قوله

١ كذا في ت: وفي ب، ج، د: وفادره بعاجل الاصطلام.

الباب الأول في كراهة استعمال الذمة في أشغال المسلمين وفيه خمسة عشر فصلاً

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا سَلَامٌ﴾ فانظر إلى قصد هذا الكافر فإنه لم يتن إلا هدم  
قاعدة من دين الإسلام.

وأخبرني بعض الظفراء قال كان لي صديق يهودي يجيئ بعض المغفلين فكان  
٢٠١٥١ يحضر له في الجبائية الخاس فيردها عليه ويدفعها له . فإذا أخذتها قال لعن الله من دفعها  
إليه لعن والديه . فيتوهם المنفل أنه لعن الذي قبضها منه أولاً وما قصده باللعنة إلا  
هو لرده عليه الخاس . فلو شرعت في وصف مخاري اليهود لطال الشرح ولكنهم  
أحقر وأقبح وأذل .

## الباب الثاني في وصف الأقباط وخياناتهم ويشتمل على خمسة عشر فصلاً

### الفصل الأول في وصفهم من حيث الجملة

يـكـفـيـ فيـ ذـاـكـ ماـ روـيـ عـنـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـتـهـ قـالـ يـهـودـ  
وـالـنـصـارـىـ خـوـنـةـ لـعـنـ اللـهـ مـنـ الـبـسـمـ ثـوـبـ عـزـ .<sup>١</sup> وـقـالـ ذـوـ الـنـونـ الـمـصـرـيـ رـحـمـهـ اللـهـ  
وـجـدـتـ فـيـ بـرـبـيـ إـخـمـيمـ مـكـتـوـبـاـ اـحـذـرـ وـالـعـيـدـ الـمـعـقـيـنـ وـالـأـقـبـاطـ الـمـعـرـيـنـ فـإـنـ الـأـقـبـاطـ  
الـأـمـ جـيلـ وـأـخـسـ قـيـلـ إـنـ أـكـرـتـهـمـ أـهـانـوـكـ وـإـنـ أـهـنـتـهـمـ أـكـرـمـوـكـ وـإـنـ اـئـتـهـمـ خـانـوـكـ.  
يـلـقـاكـ أـحـدـهـمـ وـالـمـيـنـيـةـ<sup>٢</sup> فـيـ كـمـ وـالـحـيـةـ فـيـ فـهـ فـإـنـ رـهـبـ حـيـاـكـ وـإـنـ لـمـ يـخـفـكـ<sup>٣</sup> وـجـاـكـ.  
وـمـاـ عـسـيـ أـنـ تـعـدـ خـازـيـ قـوـمـ مـخـاسـنـهـمـ مـسـاوـيـ السـفـلـ وـمـسـاوـيـهـمـ فـضـائـحـ سـالـفـ  
الـأـمـ؟ أـسـنـتـهـمـ مـعـقـولـةـ بـالـعـيـ وـالـلـكـنـ وـأـيـدـيـهـمـ مـبـسوـطـةـ بـالـخـيـانـةـ فـيـ السـرـ وـالـعـلـنـ  
وـأـعـرـاضـهـمـ أـغـرـاضـ لـسـهـامـ الذـمـ وـأـشـخـاصـهـمـ بـجـلـبـ الـهـمـ وـالـغـمـ قـدـ لـبـسـ بـهـمـ الدـهـرـ شـرـ  
ثـيـابـهـ وـأـوـقـهـمـ ذـلـلـ الطـعـمـ بـابـهـ .

### الفصل الثاني في سبب اشتغال الأقباط بالكتابة دون بقية الحرف

قـلـتـ قـدـ وـرـدـ فـيـ التـارـيـخـ أـنـ قـطـ مـصـرـ لـمـ يـنـزـعـتـ مـنـ أـيـدـيـهـمـ مـملـكـةـ مـصـرـ وـدـخـلـواـ  
تـحـتـ ذـمـةـ إـلـسـلـامـ أـجـمـعـواـ عـلـىـ رـأـيـ يـفـعـلـوـهـ لـتـقـيـ أـقـوـالـهـمـ بـيـنـ الـمـسـلـمـيـنـ مـسـمـوـعـةـ  
وـمـصـالـحـهـمـ عـلـيـهـمـ مـجـمـوعـةـ فـقـالـ عـقـلـأـؤـهـمـ وـأـكـابـرـهـمـ أـنـتـمـ قـوـمـ كـانـتـ الـبـلـادـ لـكـمـ وـقـدـ يـنـزـعـ  
مـنـكـمـ مـجـدـ السـيـفـ فـاجـتـهـدـواـ فـيـ تـحـصـيلـ مـجـدـ الـفـلـمـ قـالـواـ فـاـذـاـ نـفـعـ قـالـ عـقـلـأـؤـهـمـ  
تـعـلـمـوـنـ أـوـلـادـكـ الـكـاتـبـةـ لـيـشـارـكـوـ الـمـسـلـمـيـنـ فـيـ أـمـوـالـهـمـ وـمـصـالـحـهـمـ وـأـرـائـهـمـ . فـأـجـمـعـواـ  
عـلـىـ ذـلـكـ فـكـانـ مـنـهـمـ مـاـ يـرـىـ وـتـمـكـنـواـ مـنـ دـوـاـيـنـ الـمـسـلـمـيـنـ وـتـحـكـمـواـ فـيـ دـوـلـهـمـ . وـمـاـ

<sup>١</sup> كـذاـ فـيـ بـ، دـ؛ وـالـجـمـلـةـ سـاقـطـةـ فـيـ تـ. <sup>٢</sup> فـيـ سـائـرـ الـمـخـطـوـطـاتـ؛ الـمـذـيـةـ؛ وـالـمـثـبـتـ يـقـضـيـهـ السـيـاقـ. <sup>٣</sup> كـذاـ فـيـ بـ، تـ؛  
وـفـيـ دـ؛ يـخـفـ .

أحسن ما نظمه الشاعر في وصف اليهود والنصارى إذ علم اليهود أولادهم الطب  
وعلم النصارى أولادهم الكتابة فقال [الكامل]

لَعْنَ اللَّهِ النَّصَارَى وَالْيَهُودَ فَإِنَّمَا بَلَغُوا بِنَا مِنْ دَهْرِهِمْ آمَالًا  
خَرَجُوا أَطْبَاءَ وَكُتَابًا إِلَّا يَتَنَاهَبُوا الْأَرْوَاحَ وَالْأَمْوَالَ

### الفصل الثالث في عموم تصرفهم في الديار المصرية من حيث لا يشعر بهم

وذلك أن هؤلاء النصارى أصناف إما مستوفي ديوان فيحكم في البلاد والعباد بكلمه وقلمه ويصل إلى أغراضه ومقاصده لأنّه في صورة من يذكر مستحقاً للسلطان أو حقاً ليت مال المسلمين فله من عزّ السلطة بهذا السبب سيف مشهور يضرب به من شاء كيف شاء. وإما كاتب وإلا فهو يحكم في جميع ولايته بما يختار ومعه سيف الولاية يعتزّ به وسيف النيابة عن السلطة يصول به ويحكم فلا يردة أمره ولا يرتكب نهيه فيصل بذلك إلى سائر أغراضه فإن صدر منه أمر يجاهر الشريعة المطهرة بالمخالفة حتى يقوم فيه أحد من العلماء أو المسلمين أهل الدين خلا بصاحبها وأظهر نوع مصلحة فيما قصده فلا يفيد قيام من قام في ذلك. ومتى أعيته الحيل كذب على الذي يقوم في ذلك الأمر وأخبر مخدومه أنه شتمه أو أساء أدبه أو ذم أيام ولايته أو شكر الوالي الذي كان قبله أو أنه عزم على الوقف للسلطان فيه وينهي جملًا من أحواله ناشئة عن كذب وزور وبهتان فتأخذ ذلك الوالي العزة بالإثم فيردّ أفعى رد ويسدّ أعظم صدّ. هذا إذا كان الوالي يقطّأ خيراً مطلعاً بارزاً للناس يدخل عليه وجوه أهل ولايته ويسمع بالأذن الواقعية المقالة من أرباب نصيحته فاما إن كان على غير هذه الصفة لا يسمع ولا يعي انقطع الحديث. ولا يشيّ كاتب الوالي الموصوف بهذه الصفة عن قطع المصاغفات<sup>١</sup> وارتكاب المنهيّات إلى أن يحصل الجل الكثيرة

١ كذا في ب، د؛ والفقرة من (وما أحسن) ساقطة من ت. ٢ كذا في ت؛ وفي ب، ج، د زبادة: وبيع المصاحف.

من الأموال وأكثُرُهُم لا يخرج عن زيه ولا يظهر غناه إلَّا في بيته وخلوته في ليله.  
إِنَّمَا كاتب هو عامل بلاد فهو الحاكم يتصرف فيها كيف شاء ولا تخلو بلد في مصر أن  
يجرِي حكمهم فيها وقلّمهم عليها حتَّى توابوا على الخدم الشرعية وصار لهم أحاديث  
في الوظائف الدينية يستوفون حسابات الأَجْبَاس<sup>١</sup> والأوقاف والجمامع والمدارس  
وغيرها<sup>٢</sup> ويحدثون فيها.

### الفصل الرابع فيما اطلع عليه أَحْمَدُ بْنُ طَلْوَنَ من خيانِهِ الشهُورَةِ وما اعْتَدَهُ فِيهِمْ

ولما دخل أَحْمَدُ بْنُ طَلْوَنَ مصر نهار الْأَرْبَعَاءِ لسبعين بيّن من شهر رمضان سنة  
أربع وخمسين ومائتين ورُدَّ إِلَيْهِ أَمْرُ الْخَرَاجِ وَالنَّظَرِ فِي الْمَصَالِحِ وَجَدَ الَّذِي أَخْذَهُ  
الْقَبْطُ بِأَرْضِ مَصْرُ وَالشَّامِ جَمِلَةً مُسْتَكْرَثَةً. وَوُجِدَ مَا اعْتَدُوهُ وَأَقْدَمُوا عَلَيْهِ أَنْ  
النَّظَرُونَ كَانُوكَالَكَلَاءِ وَالْمَاءِ وَالْحَطْبِ وَالملْحِ مِنْ أَخْذِهِ شَيْئًا وَحَمَلُهُ إِلَى الْبَلَادِ  
بَاعَهُ لِلنَّاسِ وَاتَّسَعَ بِمِثْنَهُ. فَضَمَّنُوهُ بِجَلَةً مُسْتَكْرَثَةً وَسَرَقُوهُ وَلَمْ يَرْفَعُوهُ فِي حِسَابِهِمْ  
وَكَذَلِكَ الْمَصَائِدُ فَضَمَّنُوا مَا أَطْلَقَهُ اللَّهُ سَبِّحَانَهُ مِنْ صِيدِ الْبَحْرِ لِمَنْ اتَّصَبَ لِذَلِكَ  
وَاسْتَرْزَقَ بِهِ بِجَلَةً مُسْتَكْرَثَةً وَسَرَقُوهَا وَلَمْ يَعْرِجُوا<sup>٣</sup> فِي الْحِسَابِ لَهَا عَلَى ذَكْرِهِ وَكَذَلِكَ  
الْمَرَاعِي وَهُوَ ضَمَانُ الْكَلَاءِ الْمَبَاحِ الَّذِي جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّاسِ شُرَكَاءَ فِي ثَلَاثَ وَذَكْرِ الْكَلَاءِ. فَضَمَّنُوا الْمَرَاعِي بِجَلَةً كَثِيرَةً وَلَمْ  
يَذْكُرُوهَا فِي حِسَابِهِمْ بَلْ كَانُوا يَسْتَخْرِجُونَ ذَلِكَ لِفَوْسِهِمْ فَاسْتَخْرَجَهُ إِبْنُ طَلْوَنَ مِنْهُمْ  
لِبَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَاسْتَمْرَرَ اسْتَخْرَاجُ ضَمَانِ هَذِهِ الْجَهَاتِ لِبَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى  
الآنِ. فَلَيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى إِقْدَامِ هُؤُلَاءِ الْخُونَةِ عَلَى أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَخِيَانَتِهِمْ لَيْتَ  
الْمَالُ الَّذِي هُوَ ذِخِيرَةُ السَّلاطِينِ.

<sup>١</sup> كذا في ت؛ وفي ب، د: حسابات الأجناس. <sup>٢</sup> كذا في ت؛ والعبارة من (والآوقاف) ساقطة في ب، د. <sup>٣</sup> كذا في ب، د؛ وفي ت؛ وتوسيع؛ ج؛ وانتفع. <sup>٤</sup> كذا في ت؛ وفي ب، ج، د: يرفعوا.

## الفصل الخامس فيما جرى لهم مع محمد بن سليمان

ولما وصل محمد بن سليمان إلى مصر وبلغه خيانة أقباطها واظطع على القبائح من مخازينهم ووثوب من أسفل من أولادهم على العظام الهائلة ومناطقهم<sup>١</sup> بكار المسلمين العريقين في الإسلام ونهبهم الأموال من كل عمل يتولونه وظهور الأموال الكثيرة لهم من غير سبب يقتضيه ولا كنز وجدوه كشف عن مبادئ أحوالهم وما كان لهم ثم صادرهم وأخذ جميع ما استجدواه وأظهروه. ثم اتّقَ أن بعض النصارى منهم صالحه على خمسين بدرة والبلدة عشرة آلاف وكان النصراوي عنده في الاعتقال بعث رقعة إلى أخيه بجمل المال الذي صالح عليه فلمّا اعتبره زاد بدرة فقال محمد بن سليمان مال يُغلط فيه بدرة إنّه مال كبير فأخذ منه تمتة<sup>٢</sup> مائة بدرة.

قال الملاحظ وأعجبني قوله الخيانة عشرة أجزاء تسعه منها في القبط وجزء في الناس كلّهم.

## الفصل السادس فيما جرى أيام الحكم بأمر الله في ذلك

قيل إنّ الحكم رأى في منامه أنّ الباري سجّانه وتعالى في صورة إنسان حي محمول على الأيدي وقد حُمل حتى أتي به بباب القصرفات.<sup>٣</sup> ففسّر نفسه وقال الحق يكون في الدنيا كلّها حقاً حتى إذا وصل إلينا بطل. واحتسّب على نفسه وأهله ثم الفت إلى اليهود والنصارى فاحتسب عليهم في أفعالهم وأقوالهم وكائناتهم وبني على كلّ كنسية في مملكته مأدنة وهدم ما استجدوا فيها وأمر أن تلبس الذمة الثياب السود والعصلي والسمائي. وضاعف عليهم الجريمة وأفرد حماماتهم عن حمامات المسلمين وجعل من يخدم فيها ذمة<sup>٤</sup> وجعل في أعنائهم صلباً من الجميز كلّ صليب منها وزنه ثلاثة أرطال والصلبان المذكورة عند النصارى إلى الآن وفي كنيسة العدوية منها شيء. وأخذ على أيديهم أن لا يستخدموها في حوائجهم ولا في تصرفاتهم مسلماً

<sup>١</sup> كذا في بـتـدـ؛ وفي جـ: ومضاهاتهمـ. <sup>٢</sup> كذا في تـ؛ والكلمة ساقطة في بـدـ.

وهدم الكنيسة التي لهم بالقدس الشريف المعروفة بقمامدة. وكتب في ذلك بما نسخته أمرش حضرة الإمام بهدم قامة فلنجعل سماؤها أرضاً وطولها عرضًا. وهدم الدير المعروف بالقصير وأطلق تمام هدمه وتفعية آثاره ثلاثة دينار وأمر بهدم الكنيسة المعروفة بالجوز<sup>١</sup> بغردياط وذلك في السابع عشر من شعبان سنة إحدى وستين وثلاثة. وبني رجل يُعرف بابن التمار وزرعة بن نسطور كنيسة في الموضع المعروف برashaة خارج مصر فوجد فيها رجل نصري يُعرف بابن الزنايدية مع مسلمة فأمر بهدم الكنيسة المذكورة وبني موضعها مسجدًا وهو الجامع المعروف الآن بجامع راشدة الحاكي وأمر أن يُقبض على الرابع الحبسة على كأس النصارى واليهود وأحصاها وجى أموالها مع ربع بيت المال وهدمت منازلهم التي عُلّيت على مساكن المسلمين وأمر ألا يمكّنوا من تحبيس شيء على كأسهم ولا من ابتياع عبد مسلم ولا مجھول النصرانية أو اليهودية ولا من ابتياع عدّة من آلات الحرب ولا استرهانها. ونودي من فعل ذلك منهم فقد برأته منه الذمة، معناه صاروا مثل أهل الحرب يسبّ حريمهم وتسبيح أموالهم ودمائهم.

٢٦٢ وخرج أمره ألا يكتب أحد في الدواوين بالقبطي بل بالعربي وكتب على الكتاب التداريك<sup>٣</sup> بذلك ومن خالف وفعل تقطع يده فأقدم على الخالف في ذلك جماعة من النصارى استغفالاً لولاة الأمر من قبله فقطعت أيديهم بأسرهم حين علموا بهم وأخذ جميع أموالهم لأجل ذلك.

٢٦٣ ومن جملة إقدام النصارى أنهم اجتمعوا وقرروا لخاسئهم فدُنّا من أراضي بيت المال فلما انتهى ذلك إلى الحكم انكره وأكبّه وأعظمه وضرب على الجميع ثم أمر بعمل شونة قبالة مسجد تبر المقابل لأرض المطرية وملاها حلفاء وحطباً ولم يعلم مراده بذلك فأشاع الناس أنه عزم على إحراق الكتاب من النصارى واليهود فيها فاجتمع شيوخهم وأطفالهم وبخائزهم وحرّيمهم ومسكوا بآبوب القصر وضجوا ضجيج الخائف من النار فبلغ ذلك جهات القصر فرقوا لهم عند ملاذهم من النار بآبوب

<sup>١</sup> في سائر المخطوطات: العمرى، وهو تحريف. <sup>٢</sup> كذا في ت، د؛ وفي ب، زيادة: من. <sup>٣</sup> كذا في ت، د؛ وفي ب، د: مكتوب.

الحاكم فشعروا إليه فيهم فعفا عنهم بعد أن لم يُبُقُ لذى مال منهم مالاً. ثم صار أيّ من بلغه عنه من النصارى أو أولادهم الذين أسلموا آلة جمع مالاً أو عمر ملكاً ضرب عليه وأخذه منه وجعله ليت المال وإنما فعل ذلك لعلمه بهم وبإقدامهم فشيء أن تجتمع إقادم ومال وعدد وأصالة<sup>١</sup> في البلاد فلا تؤمن غالتهم وأن يكتابوا العدوى يجعلوا له طريقاً إلى البلاد وطمعاً<sup>٢</sup> فيها أو يسلكوا بالمال أنواعاً من الفساد.<sup>٣</sup>

### الفصل السابع فيما جرى في ذلك أيام<sup>٤</sup> الأمر وما وقع للملعون الراهن من المصادرة

وذلك أن النصارى امتدت أيديهم في أيام الأمر إلى الأموال ونفق سوقهم بالتفاق وبسطوا أيديهم بالخيانة وتعذّرت أفعالهم إلى أذية المسلمين حتى وصلوا بالضرر إلى أصحاب الزوايا والمقطعين من الصالحين. وكان فيهم كاتب يُعرف بالراهن لقب بالأب القديس الروحاني التفيس أبي الآباء وسيّد الرؤساء مقدم دين النصرانية وسيّد البطريركيّة<sup>٥</sup> ثالث عشر الحواريين بفلس الملعون وصادر الوارد والصادر وجميع من حوتته الديار المصرية حتى الشهود والحكام والأجناد والتجار وغيرهم وامتدت يده إلى العوام أرباب المعاش والناس على اختلاف طبقاتهم. فنأى بـ ما جرى لهذا الملعون الكلب الكافر أنه رُفت إليه ورقة في قاضي القضاة فكشف عنها وأهان القاضي بالكشف ثم كشف عن حواصل الجامع العتيق بمصر وأهان بذلك متصرّديه وقراءه وإمامه وخطيبه ومؤذنيه وقومنه في جاء إليه بعض الناس وخوفه من العاقبة في معارضته ومصادنته للأمور الشرعية وإهانته لخدام الشرع الشريف ومقاومته لهم فقال نحن كأصحاب هذه البلاد فآخرنا منها وأهنا وسُينَا وضُربت علينا الجزية فإذا أمكننا الفرصة من المسلمين الذين فعلوا بـنا ذلك بواسطة

١ـ كذا في ت: وفي بـ: جـ: وتقـنـ. ٢ـ كذا في ت: وفي بـ: دـ: إطـمـاعـ. ٣ـ تـأـيـ هـنـاـيـ جـ زـيـادـةـ: وـالـذـيـ خـافـ مـنـ الـحاـكـمـ جـرـىـ آـيـامـ يـلـيـغاـ وـأـيـعـتـ لـهـمـ الـاسـكـنـدـرـيـةـ حـتـىـ مـلـكـهـاـ وـأـخـذـوـ أـمـوـالـهـاـ وـقـتـلـاـ أـهـلـهـاـ فـلـاـ حـولـ وـلـاـ قـوـةـ إـلـاـ بـالـلـهـ الـعـلـيـ الـعـظـيمـ. ٤ـ كـذاـ فيـ تـ:ـ وـفـيـ بـ:ـ دـ:ـ زـيـادـةـ:ـ الـخـلـيـفـةـ. ٥ـ كـذاـ فيـ تـ:ـ وـفـيـ بـ:ـ دـ:ـ الـبـطـرـيـكـيـةـ.

خدمة صاحب السيف وتمكّن بخيالتنا من إظهار النصائح وجمع المال له توصلنا بذلك إلى إهانة المسلمين كان بعض ما جرى علينا منهم فنحن نصل بخدمة من يملك البلاد إلى أغراضنا في أموال المسلمين وأنفسهم ورعايتهم وإهانة أهل دينهم ويكون ذلك متأتياً استيفاءً لبعض مالنا عليهم. وأنشد لعنه الله ممثلاً [الرمل]

بِئْثَ كَرِيمٌ غَصَبُوهَا أَمَّهَا وَأَهَادُوهَا بِوَطَءٍ بِالْقَدْمَ  
ثُمَّ عَادُوا حَكُومَهَا فِيهِمْ وَلَنَكَاهِيكَ بِخَصْمٍ يُحْتَكَمْ

فاستحسن من قوله من السفلة النصارى هذا القول منه.

وكان الملعون لما تفاقم أمره في سوء تدبيره وشاع ذكره واظلم الأمر على العورات التي سُطرت في صحيفة سيرته وعلم أن الناس منه ومن فعله فيهم في أمرٍ مبح قبض عليه وأهانه غاية الإهانة وفعل فيه أنواعاً من العذاب أزمه هذا المختصر عن ذكرها لخشها وضرب على جميع ماله من الأموال والرياح.<sup>١</sup> ولقد اعتبر ما اغتصبه الراهب المذكور من أملاك المسلمين في الديار المصرية بين حانت ودار ومعصرة وفندق وطاحون وريح ومسقف وساحة فكان عدته مائة ألف وسبعين ألف ملك. ولما<sup>٢</sup> أن ولي أبو علي بن الأفضل بن شاهن شاه بن أمير الجيوش أعاد ذلك جميده على أصحابه وقيل إن الراهب الملعون<sup>٣</sup> سُرّ على لوح والتي في البحر وكان الناس يمحصونه بالحجر والقادورات، وكان لإلقائه فيه يوم مشهود.

## الفصل الثامن فيما جرى من خيانتهم في أمر عريب المغنية

وما جرى من خيانة النصارى العظيمة ما حكاه الهشامي ورواه أبو الفرج الإيصبهاني وهو أن عريب المأمونية وهي المغنية المشهورة بالفناء وما يناسبه هي ابنة

١ تأتي الفقرة من (وكان الملعون) في شطرين بعد عدة أسطر في ب، د؛ انظر الحاشيتين رقم ٢ ورقم ٣ بالأصل. ٢ يأتي هنا في ب، د الشطر الأول من الفقرة المشار إليها فوق؛ انظر الحاشية رقم ١. ٣ يأتي هنا في ب و د الشطر الثاني من الفقرة المشار إليها فوق؛ انظر الحاشية رقم ١. ٤ كذا في ت؛ والعبارة من (وكان الناس) ساقطة في ب، ج، د.

جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك وذلك أنه رأى في بعض آذر أهله يتيمة ربتها أم عبد الله بن يحيى بن خالد يقال لها فاطمة فأبنته قتّرّوجها سرًا من أبيه فولدت له عريب وماتت فدفعها لامرأة نصرانية كانت هي زوجها من جملة خدمه الابسين حلال نعمه وأمرها بتربيتها فلما أصيّب جعفر في نفسه باعتها النصرانية برأي النصارى واتفاق منه لرجل نخاس باعها الخناس للمرأكي فلماها إلى البصرة وعلمها التحور وكان من أمرها ما كان مما هو مشهور في التواريخ ولم تزل في المملكة حتى ماتت فهذا من أعجب ما جرى من إقدامهم وخيانتهم.

### الفصل التاسع فيما جرى من تغيمهم أيام<sup>١</sup> الحافظ وخيانتهم في دولته وإفسادهم ما صلح من سيرته

وذلك أن الموقر بن الخلآل رحمه الله كان متولياً ديوان الإنشاء ومتصرفاً فيه كيف شاء وكان الحافظ قد ولأه ديوان المجلس ورد إليه النظر على الدواوين كلها وذلك في سنة ثلاثة وثلاثين وخمسين وأربعين فأجرى أمور الدولة على الصراط المستقيم وفك المعقلين وأنصف المظلومين من الظالمين وأستخدم الكتاب المسلمين وجمع بين حسن السمعة<sup>٢</sup> وطيب قلوب الرعية وحبّ أجناد الدولة لها وأفاض عليهم من نيلها واستخرج الأموال من جهاتها وحمل إلى الخزانة في ميقاتها وفضل بنور اجتهاده بين خير الأمور وشرّها ونفعها وضرّها فلم يسمع بمعقول في مدة ولايته ولا متظلم من ناحيته ولا أهان مسلماً بسبب استخراج مالٍ ولا غيره ولا أستادى<sup>٣</sup> جعلاً على حالة من الأحوال فقيت الدولة به رافلة في حالة الكمال متلفعة أثواب<sup>٤</sup> الجمال وأعلن الناس بالدعاء للدولة بالبقاء لما نالهم من خيرها وخصّهم من جلاء قدرها.

<sup>١</sup> كذا في ت؛ وفي ب، د زبادة: الخليفة. <sup>٢</sup> يحيى سقط بعض الكلمات هنا في سائر المخطوطات. <sup>٣</sup> كذا في ت؛ وفي ب، د: غرم مستخدماً. <sup>٤</sup> كذا في ت؛ وفي ب، د: متلقنة بثياب.

فعظم ذلك على النصارى وفقدوا ما كان يصل إليهم من المصالحات وعسر ٢٠٩٢ عليهم جريان الأمور على السداد وولاية المسلمين للأشغال. فاجتمعوا إلى رجل يقال له الآخر المعروف بابن أبي زكيراء الكاتب وسألوه أن يشير عليهم بما يعتمدونه في أمرهم وشكوا إليه ما نالهم من اقطاع رزقهم باستخدام المسلمين في الخدم وأخبروه أنهم أجمعوا على حيلة يضعونها ومكيدة يبتدعونها إلى أن يصلوا إلى أغراضهم وتحكموا في الدولة بأقلامهم فضربوا في ذلك أراء متعددة انتهت آخرها إلى رأي أجمعوا عليه وهو أن يقرروا مع مبنم الحافظ ما ي قوله له وكان للحافظ مبنم يسير مولده في كل سنة ويحكم له بما يتجدد في دولته حسب ما اقتضاه فته وما يدعيه في عمله وكان الحافظ محبًا للنجامة قائلًا بها عاملاً بما يخليه إليه من أحکامها معتقدًّا بغلبة ظنه أنها حق فاتفق رأيهم على مصالحة المنجم بحال له جسد وهان عليهم بذلك في بلوغ غرضهم. وسألوه أنه إذا سير المولد الحافظي أن يشرح في فصل منه أنه متى نظر في أمر الدواوين وأبواب المال من كانت صفتة كذا وكذا وحليته كذا وكذا زكا فيه الارتفاع وإنما واستمرت زيادة النيل في كل سنة وبلغ الحد الذي يتم تفعه وأمن تقصصه وانقطاعه وتواتل المسرات إلى الحافظ وعمرت البلاد وصلح ما فسد من الأحوال. فواهقهم المنجم على ذلك وأجابهم إلى ما التسوه منه لاجل ما أخذه منهم من المال والتحف. ورفع المولد المسيّر وقد ضمته ما رثوه من الحيلة فتصفع الحافظ المولد جميعه ولم يستغل بغیره فعنده وقوفة على فضل الحيلة المتضمن ذكر الحليلة أمر في الحال أن يكشف له في أرباب الدولة عن حليته كذا وصفته كذا فكشفوا فوجدوا المطلوب فقيل له هذه حيلة ابن أبي زكيراء<sup>٣</sup> الكاتب فأحضره وقابل بحليته ما في المولد فلما صلح عنده بالمقابلة أنه هو سلم إليه الديوان وعزل القاضي الموقّع فأقام ابن أبي زكيراء<sup>٤</sup> المذكور يسخرج الأموال ويصرف منها في بلوغ أغراضه ونيل أمانيه ويصانع من حول الحافظ وكفر لنفسه

١ ت: باب؛ وفي بقية المخطوطات: أبي، ولعل الصواب ما أثبتناه من المعاذه، ٣٢١-٣٢٣، ح. ٣، ٢. ٢ كذلك في ت؛ وفي بـ جـ دـ زيادة: والقياس. ٣ في سائر المخطوطات: أبي زكيريا. ٤ في سائر المخطوطات: فأقام أبو زكيريا.

الباب الثاني في وصف الأقباط وخياناتهم ويشتمل على خمسة عشر فصلاً

الأموال وأغنى أقاربه وولاهم معالي الأمور والجهات التي فيها الأموال المجهولة وما لا يضر إلى الأمانة.

فلم يكن إلا برهة من الزمان حتى ظهر لحافظ ما تمه النصري وما دس عليه البنج<sup>٢</sup> وكشف أمر الأموال فوجدها من النقص علىأساً حال فأمر بقتل الكلب النصري ابن أبي زكريا<sup>١</sup> وقتل البنج فقتلا شر قتلة ومُثل بهما أعظم مُثلاً ورسم بإعادة القاضي الموقق بن الخالل فلم يفعل.<sup>٣</sup>

فلينظر الإنسان إلى دقيق هذه الحيلة والتوصيل بهذه الأفعال الشيطانية والإقدام على الأمور السلطانية العظيمة الخطر والتقييم على جلال الخليفة بالزور والكذب واستغفال عقول قد أسرتها الشهوات وغيّبتها عن المصاحح حجب اللذات.<sup>٤</sup> وفي هذا النصري يقول الشاعر [الوافر]

إِذَا حَكَمَ الْأَصَارِيِّ فِي الْفَرْوَجِ وَعَنَّا لَوْلَا بِالْغَيَالِ وَبِالسُّرُوحِ  
وَذَلِّلَتْ دُوَلَةُ الْإِسْلَامِ طُرَّاً وَصَارَ الْأَمْرُ فِي أَيْدِي الْمُلُونِ  
فَقُلْ لِلْأَعْوَمِ الْدَّجَالُ هُذَا مِنْ مَا نَكَ إِنْ عَزَّمْتَ عَلَى الْخَرْجِ

## الفصل العاشر فيما جرى من إقدامهم على الشهادة في حجج المسلمين

وذلك أن رجلاً دخل سوق البازارين ومعه حجة شرعية يلتقط شهوداً عدولًا يشهدون له فيها على خصمه فوجد قوماً من النصارى عليهم لباس المسلمين وزينهم ولم يعرفهم حق المعرفة لكونه غيرًا فقدم الحجة إليهم فشهدوا فيها وجسروا على هذا الأمر الخطر وراح صاحب الحجة مدحوض الحجة وبقي في أمانة غيره.

١ في سائر المخطوطات: أبي زكريا. ٢ كذا في ت؛ وتأتي هذه الفقرة كلها من (أقام ابن أبي زكريا) بالأصل في ب، د؛ انظر الحاشية رقم ٣. ٣ كذا في ت؛ وتأتي هنا الفقرة المشار إليها فوق؛ انظر الحاشية رقم ٣. وتأتي هنا أيضاً زيادة في ج: كما في زماننا هذا.

قلت ولما سمعت هذه القضية كانت سبباً لتجديده التأكيد في لبس الديمة الغيار ٢٠١٠٢ والخريح عليهم في التزامهم لبسه وإقامة محتسب يختصب عليهم في أحوالهم ليس له شغل سواهم وصارت ولاية من جملة الولايات وذلك في زمن الأمر.

ثم أنشئ في دولته كتاب بلغ ذو خطبة صادعة قرئ على المنابر وصار زاداً ٢٠١٠٣ للمسافر وحديثاً للمسامر ورواية للبادي والحاضر وهو كتاب طول ذو خطبة طويلة. تركت ذكره قصداً لاختصار وتجنبه للأثار فإن في الآيات الشريفات التي تقدم ذكرها في مبدأ هذا الكتاب نهاية لكنني أذكر لمعاً من الخطبة فمنها ومعلوم أن اليهود والنصارى موسومون بغضب الله ولعنته وبالشرك بالله وللحذر لوحدينته وقد أمر الله سبحانه عباده المسلمين في أم الكتاب الحثوم إحراراً لثوابها عند تلاوتها وهي السورة التي لا يتم فريضة ولا نافلة إلا بها لأن يدعوا ويرغبوا إليه أن يهدىهم سبيل المؤمنين ويعذبهم من هذين الفريقين الكافرين الجرميين فقال ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراطَ الَّذِينَ أَنْهَمْتَ عَلَيْهِمْ عَيْرَ المَغضوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضالِّينَ﴾ فالمغضوب عليهم اليهود بالإجماع وباقارهم والضاللون النصارى الذين آذن بخزيهم ومصيرهم إلى دار البارود قال سبحانه في اليهود ﴿وَصُرِّبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ وَالْمَسْكَةُ﴾ «ذلك بإتهمه كانوا يكفرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الشَّيَّئَنِ بِغَيْرِ الْحُقْقَةِ ذلك بما عصوا وكأنوا يعتقدون» وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس من قتلنبياً أو قلته بني. فمن جملة ما في الكتاب المذكور ولا يمكن الذهمة بأن يتسموا بأسماء المسلمين فينادي ذيي يا أبا الحسن، يا أبا الحسين، يا أبا علي، يا أبا الطاهر وكذلك المنع من إطلاق اسم المشيخة فإن ذلك مما تأباه النحو الإسلامية والعرة الإيمانية وأن يلزموا بلبس الرزاير وشدتها في أوساطهم ظاهرةً ولhydr الراكب من إخفاء زناره بالجلوس عليه ولا يمكنوا من ركوب شيء من الخيل ولا من البغال، ولا يسلكون مقابر المسلمين في نهار ولا ليل ولا يمكنوا من المرآكيب المحلاة ولتكن توابيت موتاهم مشدودة بمحاب الليف مكسوفة غير مغشاة<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> كذا في ت؛ وفي ب: جرح؛ د: خرج. <sup>٢</sup> كذا في ج؛ وفي ب، د: عمل. <sup>٣</sup> كذا في ب، ج، د؛ والفقرة من (وهي السورة التي) ساقطة في ت. <sup>٤</sup> كذا في ت؛ وفي ب، د: زيادة؛ ولا يمكنوا من الركب الحديد ولا من السروج الحديد. <sup>٥</sup> كذا في ت؛ وفي ب، د: زيادة؛ ولا مغطاة.

وليمنعوا من حمل تواييتهم على الأكaff فلتجر على التراب جراً، وآخر الكتاب وأن يمنعوا من تبييض قبورهم مع وصايا كثيرة شرطت عليهم أقاموا تحتها مدة طويلة والله أعلم.<sup>١</sup>

الفصل الحادي عشر في ما جرى من تبديهم في المساحة  
وإقادا لهم على الأذى من غير مراقبة الله تعالى ولا خوف  
فضيحة من الوقوف على خزيهم ولا نظر في عاقبة

وذلك لأن بعض النصارى العمال توجه لمساحة بعض الأعمال فعدى في بعض <sup>١٠١١٢</sup> المعادي قاصداً موضع مساحته فلما وصل إلى البر القنس منه صاحب المعدية أجرة تعديته فمنعه ولم يعطه شيئاً وعسر عليه أن يستنهله إلى أن يرجع بل أغاظه عليه في الكلام وتحامق وترافق. فأخذ صاحب المعدية لجام دابته رهناً على حقه فترك النصارى للجام ومضى فلما مسح الأرض ثبت في قنداق المساحة أرض الجام باسم ضامن المعدية عشرين فدانًا ثم نقل ذلك من القنداق إلى المكلفة وخلد الكل في الديوان. فلما توجه المندوبون لاستخراج مال الأرضي والخرج ومعهم التذاكيير بأسماء أربابها طلب ضامن المعدية بما كتب في جهته فأقسم أنه ما زرع قط وسأل أن يكشف من المزارعين هل ثم أرض تعرف بالجام وحكي القصة التي جرت له مع العامل النصاري فيأخذ جامه رهناً على أجرة التعديه فلم يقبل منه ذلك وضرب وسبّن حتى قام بما كان في التذكرة منسوباً إليه وشهدت أعمال المستخرج ومياومته<sup>٢</sup> باستخراجه منه بمحنته. واستمر على القيام به في كل سنة ظلماً وعدواناً إلى أن تولى على ذلك العامل رجل<sup>٣</sup> له دين فكشف عن الأمور واتبع الحق وأنف من الباطل وعلم حال الرجل وما أقدم عليه الكلب في أمره فحفظ ذلك عنه وألزم العامل بغرامة جميع ما قام به بعد أن اعترف بما اعتقده معه فعاقبه على ذلك بأشد العقوبة.<sup>٤</sup>

١ كذا في ب، د؛ والفقرة من (مع وصايا) ساقطة في ت. ٢ كذا في ت؛ وفي ب، د؛ ساومته. ٣ كذا في ت؛ وفي ب، ج، د زباده: مسلم. ٤ كذا في ت؛ والعباره الأخيرة ساقطة في ب، ج، د.

ومن جملة سوء اعتمادهم وسرقاتهم أن بعض النصارى تولى مدينة تيس وديوان ٢،١١،٢ المسخريج بها على البحر فوقدت له سكين في البحر فقرر على المراكب كل مركب يصل به دينار وضمن هذا المقرر بجملة كثيرة. ثم لم يزل مستمراً إلى أن ولـي السلطـان السعيد الشهـيد وحـظ المـكوس فـخطـضـمان ذلك مع ما حـظـه رـحـمـه اللهـ.

**الفصل الثاني عشر فيما جرى من تميمهم على مراقبيهم  
من العدول وأنه لا يمكن ضبطهم عن الخيانة**

وذلك أن بعض كتاب القبط من يسم نفسه بالثقة والأمانة وليس بثقة ولا أمينٍ<sup>١</sup> كان معه عدل يضبط عليه المعاملة التي هو متولـها فأعملـ الحـيـلةـ كـيفـ يـسـرـقـ ولا يـفـطـنـ بهـ وـيـكـونـ مـأـمـونـ العـاقـبـةـ لـعـدـمـ ظـهـورـ سـرـقـهـ فـسـرـقـ تعـلـيقـ الشـاهـدـ العـدـلـ فـلـمـاـ عدمـ الشـاهـدـ تعـلـيقـهـ خـافـ منـ الفـضـيـحةـ وـدـعـتـهـ الـضـرـورـةـ إـلـىـ النـقـلـ مـنـ تعـلـيقـ الكـاتـبـ فـكـانـ الكـاتـبـ لـمـاـ أـنـ سـرـقـ تعـلـيقـ رـفـيقـهـ عـلـىـ الشـغـلـ فـيـ تعـلـيقـهـ وـفـقـصـ فـيـ وـزـادـ وـعـملـ ماـ أـرـادـ فـطـلـبـ الشـاهـدـ مـنـ الكـاتـبـ تعـلـيقـ الذـيـ لـهـ فـأـعـطـاهـ إـيـاهـ وـقـدـ عـمـلـ فـيـ غـرـضـهـ وـمـصـلـحـتـهـ مـنـ حـيـثـ لـاـ يـشـعـرـ رـفـيقـهـ فـتـقـلـ مـنـهـ وـنـالـ غـرـضـهـ وـأـوـقـعـ الشـاهـدـ الـمـسـكـينـ فـيـ الـكـذـبـ.

**الفصل الثالث عشر في ما جرى من تدقير الحيلة  
من نصارى على رفيق له يهودي وهو من الجحاب التي  
لا يُقدم عليها إلا هذه الطائفة الخبيثة**

وذلك أن بعض النصارى الكتاب في زمن ابن لخشي<sup>٢</sup> سأـلـ رئيس اليهود مـسـاعـدـتهـ في خـدـمـةـ فـاسـخـدـمـهـ وأـشـرـكـ معـهـ يـهـودـيـاـ نـقـلـ عـلـىـ النـصـارـىـ شـرـكـةـ فـأـكـثـرـ معـهـ الحديثـ والـسـؤـالـ عـنـ العـبـرـايـ وـقـسـيـرـهـ بـالـعـربـيـ وـهـوـ يـفـسـرـ لـهـ مـاـ يـسـأـلـهـ عـنـهـ إـلـىـ أـنـ

١ كـذاـ فـيـ تـ:ـ والعـبـارـةـ مـنـ (ولـيـسـ)ـ سـاقـطـةـ فـيـ بـ،ـ جـ،ـ دـ.ـ ٢ـ فـيـ سـائـرـ المـخـطـوـطـاتـ:ـ وـحـشـيـ،ـ وـهـوـ خـطـأـ.

سأله يوماً عن اسم الخليفة بالعربي فقال له اليهودي الماخ. وسأله عن اسم الوزير فقال اليهودي التوصيم فصبر عنه أياماً ثم سأله عن اسم القتل فقال الشفر يقال شفرته إذا قتله.

وكان الأمر في زمن رضوان شديداً لا يجسر أحد أن يذكر الخليفة ولا شيئاً من أحواله ولا ما يتعلّق به ولا يذكر الدولة ولا شيئاً يتعلّق بها فلما أصبح النصراوي رب لليهودي من أوجعه ضرباً فخرج وهو مستغيث إلى القصر فأحضره رئيس اليهود من ساعته بين يدي حاجب الحافظ فبعث من أحضر النصراوي ليعقوب على افتياه<sup>١</sup> على اليهودي فقال النصراوي أنا ما ضربته وإنما ضربه المسلمون لكونه تكلم بفضول لم يلزمهم ولا كان يسوغ له الحديث فيه فقيل له ماذا قال حتى ضربه المسلمون قال تكلم بالعربي شيئاً ما أعرفه ففسر له فضل اللفظ الذي سمعته منه فقال سمعته يقول الماخ يشفر التوصيم الليلة ومنهوم ذلك الخليفة يقتل الوزير في هذه الليلة فأنكر اليهودي ذلك وحلف وأخذ يحيى قصته مع النصراوي وسؤاله عن الكلام العربي وما اعتمد له فعلم فلم يمهل عند سماع ذلك بل صفع وحمل إلى السجن حتى يكشف عنه.

فانظر إلى هذه الحيلة التي لا يهتدى لها «الشيطان الرجيم»<sup>٢</sup> ولا يأتي بمثلها فنعود بالله من هذه الطائفة الخبيثة التي لا ترقب في أغراضها حثاً ولا تعتمد في كلامها صدقأً<sup>٣</sup> ولا ترعى إلاً ولا ذمةً فكيف يتولى هؤلاء شيئاً من الأعمال أو يؤمّنون على بلد أو مال؟

<sup>١</sup> كذا في ت؛ وفي ب، د؛ افتراه: ج: اقتراه. <sup>٢</sup> كذا في ب، د؛ وإنما ضربه ساقطة في ت. <sup>٣</sup> كذا في ت؛ وإنما تعتمد في كلامها صدقأً ساقطة في ب، ج، د.

الفصل الرابع عشر فيما جرى من مخانز لهم في أيام العاشر  
حين كان السلطان الملك الصالح طلائع بن رمزيك

وذلك أنه لم يكن في الدولة أمكن من كلب نصري يقال له خاص الدولة أبو الفضل ١٠١٤٠٢ ابن دخان وكانت مخانزه في صحائف الأيام مسطورة ومثالبه في التواريخ مخلدة مذكورة فمما أقدم عليه أنه حمله جهله وتقدمه في الدولة على أن وقع في قصة رجل نصري أسلم أن يرد إلى دين النصرانية ويؤمر بالخروج عن دين الإسلام ولم يزل توقيعه لعنه الله محفوظاً عند بعض الكتاب إلى أن ملك الشهيد صلاح الدين وقف عليه فأمر من ساعته بأن لا يولي نصري أيديه ولا عملاً وغضباً لذاته غضباً شديداً حتى أنه قال وددت والله لو أدركت هذا الكلب الكافر حتى أجعله عبرةً لكل نصري فرضي الله عنه.

ومما جرى لهذا النصري ابن دخان أنه لما وصل الشيخ العالم زين الدين علي بن ابراهيم بن بجا الأنباري جدي لأبي رحمة الله إلى الديار المصرية قرر له أول قدومه راتب يسير دون ما يستحق إذ لم يكن المصريون يعلمون حاله إذ ذاك من الدين والعلم. وتقىد إلى خاص الدولة المذكور بتسهيل المبلغ المقرر وصرفه وبتحليله والخذر من تأخيره فلما رجع الأمر إليه وعول فيه عليه خلد توقيعه في ديوان الإهمال ونزله في جرائد الإغفال ورسل الشيخ زين الدين يتقددون إليه فلا يؤهلهم للكلام ويحيونه فلا ينصفهم في السلام هذا وداره معمورة برسل الفرج لا يخلو مجلسه منهم ولا يفتر عن قضاء حوائجهم ويأمر بتيسير مطالبهم وحمل الإضافة إليهم من جهتهم أضعاف ما قرر لهم على الديوان. فعوتب على ذلك وقيل له لم لا تحرر الشيخ زين الدين على أجمل عوائده فإنه لا تأمن أن يصف أفعالك المشهورة ومخازيك المسطورة وقبائلك التي يستحيي من فعلها الأوغاد من السفهاء فضلاً عن ينتظم في سلك

١ كذا في ت وفي ب، ج، د زبادة المسلمين. ٢ كذا في ت وفي ب، ج، د زبادة في أيام المصريين. ٣ كذا في ت وفي ب، د زبادة و تسهيل مأربهم. ٤ كذا في ت وفي ب، ج، د الصيافة إليه (ج، إلهم).

الرؤساء. فبان لعاته أنه طاغٍ متمرد مبالغ في عداوته للإسلام وأهله مجردة منقبض عن فعل الخير متذرع متهدّد منهكم على الفساد.

ففي الشيخ زين الدين رحمة الله ينتظر له الفرصة فلم يمض إلا أيام يسيرة حتى جلس ٢٠١٤٠٢ الملك الصالح مجلساً عاماً جمع فيه وجوه الدولة وأهل العلم والدين والدواين والكتاب المسلمين. وسأل الشيخ زين الدين أن يتكلم فنصب له كرسي مجلس واتفق أنقرأ أحد فرائض الحضرة «يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ» فتكلم الشيخ زين الدين على تفسير الآية والسوارة وبالغ وأطلب ثم خرج إلى ذكر الدخان ومضره للعين وهي أشرف الأعضاء وإلى آلات التفيس وبها قوام الحياة بجواب الرؤوف فيها وتسوييد الدخان للبياض وتوليده للسعال وتكلم من باب الحكمة على ما يولده الدخان من المضرة للروح والبدن إلى غير ذلك ثم أخذ في ذكر النصارى ومخازنهم والنهي عن استخدامهم وذكر جملًا مما ورد في ذلك من الكتاب والسنة. ثم الفت إلى الملك الصالح وقال أيها الملك طهر هذه الدولة الشريفة من النصارى بحيث لا يتولى أحد منهم عملاً من أعمال المسلمين وإن قيل للسلطان إنهم حسبة فقد كذب القائل. كيف يوصفون بالحساب وقد جعلوا الواحد الفرد ثلاثة؟ وذلك أنهم يجعلون الله ثالث ثلاثة ديناً ويمقدون أنَّ الثلاثة واحد يقيناً لا يخرجون عن هذه المقالة أبداً والله سجحانه تعالى يقول «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةَ وَمَا مِنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ» وأنشد [الخفيف]

كَيْفَ يَدْرِي الْحِسَابَ مَنْ جَعَلَ اللَّهَ هَبْرَ زَعْمِ ثَلَاثَةَ وَهُوَ وَاحِدٌ

ثم قال الشيخ زين الدين يا مولانا فعلى هذا الاعتقاد إذا استخرج النصراوي من مال السلطان ثلاثة جعلها واحداً يدين الله بذلك. فانتقل المجلس إلى الخليفة العاضد في وقته وجرى ذكر ما ورد فيه من خري ابن دخان النصراوي.

١ كذا في ب، د؛ والكلمة ساقطة في ت. ٢ كذا في ت؛ والكلمة ساقطة في ب، ج، د.

فتواثبت عليه الأعداء وأنهتك ستره وظهر أنه كان يكتب الفرج ويحملهم على غزو البلاد وأنه كتب لهم أوراقاً بارتفاع الديار المصرية فقتل أبقي قتلة لعنة الله وفيه يقول عمارة [السرير]

قُلْ لِابْنِ دُخَانٍ إِذَا جَسَّهُ وَوَجْهُهُ يَنْدَى مِنَ الْقَرْقَفِ  
حِرْمَهُ جَارِيَّ وَلَوْ أَنَّهُ أَضْعَافُ مَا فِي سُورَةِ الْأَنْخَرُفِ  
وَأَصْفَعُ قَفَّا الْأَذْلَّ وَلَوْ أَنَّهُ  
مَلَكَ الْأَدَهْرُ سِبَالَ الْوَرَى  
خَلَى لَكَ الْدَّيْوَانُ مِنْ نَاظِرِ  
فَأَكْسَبَ وَحَصَّلَ وَادَّخَرَ وَأَكْتَرَ  
وَأَبَلَّ وَقُلْ مَا صَحَّ لِي دِرْهَمٌ  
وَأَعْتَكِمِ الْفَشَرَةَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْتَقِعَ الْإِنْجِيلُ إِلَمْصَحَّفِ

ومما جرى من قلة حياء النصارى وخرفهم ورضاهم بالفضيحة لأنفسهم في ٥،١٤٢ بلوغ أغراضهم أنه جرى في أيام شاور وزير العااضد غربة مشهورة لم يحدث بمثلها وذلك أنه لما هلك بطريق النصارى اجتمع بكارهم وسألوا إقامة غيره عوضاً عنه فأجمعوا آراء الكتاب الخاصة على أبي الفرج بن زرعة البطريكي وأجمعوا فرقة أخرى على رجل يعرف بابن زين الدار فاقتصر النصارى فرقتين. ومن شرائط البطريكي عندهم أنه لا ينكح ولا يذبح ولا يُعرف له ذنب عندهم على زعمهم وكانت شوكة أبي الفرج المذكور أقوى وكلمة مبن اجتماع إليه من الرؤساء على من دونهم أعلى وكان في جملتهم كاتب نصراوي يعد من الكتاب الشهورين وتوخذ بقلمه الحقوق فودي على ابن زين الدار من يعلم من حاله شيئاً فليذكره فقام الكتاب المذكور ووقف بين الجماعة الحاضرين وقال هذا رجل فسوق بي وفستت به فضحك

١ كذا في ت: وفي ب، ج، د: زيادة: وعدة جيشه. ٢ كذا في ت: وفي ب، د: حرام. ٣ كذا في ب، ت: وفي د: الله.

الحاضرون وبطلت تقدمة المذكور ولم يعبأ القائل بما ذكر عن نفسه من الفضيحة الخيرية في الملأ العام.<sup>١</sup>

### الفصل الخامس عشر في ذكر السبب الذي لأجله صار إذا أسلم أحد منهم بكائنة أو جائحة جاء أنسخ ما كان وأكثر خيانة<sup>٢</sup> وأشدّ حدة

وذلك بدليل واضح كالشمس الطالعة والأنوار الساطعة<sup>٣</sup> لأنّه ثبت بما تقدّم في هذا الكتاب ما هم مجبرون عليه من الخاري والخيانة والكذب والإقدام على العظام وما ظهر من ذلك في كل زمان وما قعوا به من الخلفاء والملوك في كل أوان ومع ذلك فلا ينكر أنّ خمول النصرانية وذلّ أداء الجريمة وتهرب دخولهم تحت سطوة سيف الإسلام يمنعهم من الإفراط في ذرّهم<sup>٤</sup> وإنّ ظهار مخازينهم فلا بدّ أن يتوقّوا بعض التوقي ويخفّوا ما أمكنهم فإذا جرت لأحدّهم كائنة يخاف منها على نفسه أو ماله واحتاج إلى التخلص منها بالتلتفظ بكلمتي الإسلام تكمّل بها وخلاص من عقوبة ما ارتكبه وزال بذلك العذر من تخفيه مخازينه وتوقيه بقبائله ومعابده وأقدم بحسب طبعه وجبلته على الخاري والخيانة والفساد على كلّ أمر كان يتوقّاه غير خائف ولا مراقب للعواقب بل يذلّ بما تلفظ به من كلمتي الإسلام فيكون مسلماً بين المسلمين في الظاهر وإذا خلا في بيته كان بين أبيه النصري وآمه النصرانية وأخيه وأخته وأولاده وزوجته وأصحابه وأقاربه نصريان<sup>٥</sup> على الحقيقة معذراً إليهم مما صدر منه قاتلاً لهم والله ما دخل في قلبي من دين هؤلاء المسلمين شيء وإنّ الضرورة الجائني إلى مواقفهم في التلفظ بذوي الكلمتين لسلامة النفس بسبب تلك الكائنة التي جرت والله إيني إذا عبرت على الكيسة الفلاحية أو الدير الفلاحية ما يحيق في جارحة ولا عرق إلا وأشار إلى تلك الموضع وتلك الصور وتلك الهياكل<sup>٦</sup> وإنما قال الشاعر [المسرح]

١ كذا في ت؛ والجملة الأخيرة ساقطة في ب، ج، د. ٢ كذا في ت؛ وفي ب، ج، د، زيادة: وأقلّ أمانة. ٣ كذا في ت؛ والفرقـة من (واضح) ساقطة في ب، ج، د. ٤ كذا في ب، ت؛ وفي د: تذرّهم. ٥ كذا في ت؛ وفي ب، د، زيادة (وفي ج مثلها): وذلك التقديس وذلك القرابـان.

الباب الثاني في وصف الأقباط وخياناتهم ويشتمل على خمسة عشر فصلاً

## تُلْيِي الْضَّرُورَاتُ فِي الْأَمْوَارِ إِلَى سُلُوكِ مَا لَا يَلِيقُ بِالْأَدَبِ

يا فلان عندك خبر؟ إني أعبر على الكنيسة الفلانية ما أقدر من شر المسلمين أن  
أطلع إليها ولا أملأ عيني منها لكن أرد وجهي عنها خوفاً أن ينعقد علي أحد من  
المسلمين في نظري إليها. وهو الكلب الملعون ينشد بلسان حاله لا بلكرة مقاوله قول  
الجحري [الكامل]

أَخْنُو<sup>١</sup> عَلَيْكِ وَفِي فُؤَادِي لَوْعَةٌ<sup>٢</sup> وَأَصُدُّ عَنْكِ وَوَجْهُ وِدَّيِ مُقْلُ  
وَإِذَا هَمَّتْ بِوَصْلِ عَيْرِكِ رَدَّيِ<sup>٣</sup> وَلَهُ عَلَيْكِ وَشَافِعٌ لَكَ أَوْلَ

وإذا عوتب على خروجه عن دين النصرانية أنسد لسان حاله [الكامل]

نَقْلٌ فُؤَادَكَ حَيْثُ سِئَتْ مِنَ الْهَوَى<sup>٤</sup> مَا أَحْبَبَ إِلَّا لِلْجُنُبِ الْأَوَّلِ  
كُمْ مَزِيلٌ فِي الْأَرْضِ يَأْلُفُهُ الْفَقَئِ<sup>٥</sup> وَحِينَئِهُ أَبْدًا لَأَوْلَ مَنْزِلٍ

ولقد أخبرني رجل حضر في خلوة لبعض النصارى الذين أسلموا بسبب كائنة ٢٠١٥٢  
وقد طالت مدته في الإسلام حتى صار يقف الوقوف مثل المسلمين على سبيل  
الخيرات<sup>٦</sup> إلى غير ذلك وصار إذا تعاون النصارى على مسلم يقول لو كان هذا نصرانياً  
ما تحاملتم عليه يقصد بذلك البعد عن التهمة وأنه دخل في دين الإسلام دخولاً  
تاماً. قال المخبر بهذه الحكاية فشرب المذكور وشرب الحاضرون فقال أحدهم للمغنى  
بِاللَّهِ عَنِّي فِي حِجَارَى، فَغَنِيَ أَيْمَانًا مِنْهَا [الطويل]

كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْجِنُونِ إِلَى الْصَّفَّا<sup>٧</sup> أَيْسُ<sup>٨</sup> وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ

١ كذا في ب، د؛ وفي ت: أجفو. ٢ كذا في ت؛ وفي ب، ج، د: يعل الأوقاف على سبيل الخيرات ويتصدق ويصوم بعض أيام الشهور.

ففع الكلب أفقه وقال وقد تمكنت منه النشوة بالله يا فلان دعني من الجحون والصفا  
ومكّة وهذه الأسماء المرجعية وعن لنا يا دير سمعان وأياماًنا بالدير وذاك الشعر الذي فيه  
ذكر القسوس والرهبان. ثم التفت وقد رأت به النشوة وقال أقول لكم الصحيح ما دين  
النصرانية إلا ملجم ومعابدهم وكأنهم تلك الصور وذاك الحفر الذي عليه والله  
كأنها إلا تتطق وتلك الهياكل وتلك الموضع وذاك التقديس فسبحان من قدر ما قدر  
ما للإنسان في نفسه حيلة. ثم قال يا فلان سمعت أن هؤلاء الذين يروحون إلى مكّة  
يقبلون حجراً أسود قال، وبأخذون معهم حجارة من موضع ويرمونها في موضع آخر قال،  
ويجررون جريأً شديداً شيء ما يشبه شيء يابني ايش ما هذا كله؟ يترك الناس دينهم  
ويدخلون معهم بدون ذا.<sup>١</sup> قال الخبر فوالله لقد تربت فصمة الخلوة به لقتل الله تعالى  
فالبين وبين ذلك كثرة الحاضرين.

قلت<sup>٢</sup> وهذا لا ينكر من هؤلاء السفلة المجهال النصارى فإنه لو جرى لبعض  
ال المسلمين العريقين في الإسلام كائنة في دار الحرب أو في موضع للكفار فيه شوكة  
حتى لا ينجيه منها إلا التلفظ بالكفر فتلفظ به لم يأثم ولم يخرج عن دين الإسلام  
ومتي لم يمكنه أن يظهر دين الإسلام الذي هو يعتقد أبقاءه في قلبه وتلفظ به سرّاً  
في خلوته ونعم نفسه وتعبد مهما أمكنه خفية وإذ رأى جامعاً أو مسجداً أو محراباً حن  
بحجلته إليه وأن آسفًا عليه واشتاقه بقلبه وتوسل في إظهار دينه إلى ربّه.  
وقد جرى مثل ذلك لعمار بن ياسر رحمه الله فإن الكفار عذبوه بالنار لكي يتلفظ  
بالكفر فلم يجدهم وصبر على العذاب ظنًا منه أنه لا يجوز له التلفظ بحال فرز به رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وهو يعذّب فأذن له أن يرضيهم بالتلفظ حتى يخلص من  
العذاب ففعل ونزل قوله تعالى «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَبْلُهُ مُظْمَنٌ بِالْإِيمَانِ».

فثبت إذاً أن النصارى إذا أسلموا لكونه صار أحسن مكاناً وأخرى بل حكمه عندي  
إذاً كان كما وصفت حكم المرتد مباح الدم<sup>٣</sup> مستوجب القتل بل حكم المستهرين

١ كذا في ت؛ والجملة الأخيرة ساقطة في بـ دـ. ٢ كذا في ت؛ وفي بـ دـ: قال المصطف: جـ: قال مؤلف هذا الكتاب.  
٣ كذا في ت؛ وفي بـ جـ: دـ زبادة؛ والمالي.

الباب الثاني في وصف الأقباط وخياناتهم ويشتمل على خمسة عشر فصلاً

بالشرعية والطاعة لا يحل إبقاءه في الحياة ساعة اللهم إلا من أسلم منهم بالدليل  
القائم عنده على نسخ شريعته وصدق نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ودخل في  
الإسلام طائعاً مختاراً راغباً لا لكتيبة ولا لمصيبة فذلك هو المسلم الذي يرجى صحة  
إسلامه.<sup>١</sup>



---

<sup>١</sup> كذا في ب، د؛ والفقرة من (اللهم) ساقطة في ت.

## الباب الثالث في وصف الكتابة والكتاب وفيه فصول ثلاثة

### الفصل الأول في وصف الكتابة

إِذْ جَرِي ذِكْرُ الْكِتَابَةِ وَذِكْرُ مِنْ تَزِينَاهَا مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا وَبَاشِرْ مَعْدِيًّا جَلِيلَ شَغْلِهَا نَاسِبٌ  
أَنْ أَصْفَهَا وَأَصْفَ الْمُتَحَلِّيَنَّ بِهَا وَأَذْكُرْ لَمَعًا مِنْ حَاسِنِ الْكِتَابِ وَأَطْرَزْ بِهَا طَرْفَ هَذَا  
الْكِتَابِ. فَأَقُولُ الْكِتَابَةَ صَنَاعَةٌ شَرِيفَةٌ وَرَتْبَةٌ جَلِيلَةٌ مِنْيَةٌ مِنْ جَهَلِ فَضْلَاهَا فَمَا عَرَفَ  
أَهْلَهَا وَالْكِتَابِ الْمُوصَفُونَ بِهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ هُمْ مَعْنَى لِفَظِ الْوِجُودِ وَلَبَ قَسْرُهَا الْعَالَمُ  
الْوِجُودُ وَرُوحُ جَسْمِ هَذَا التَّكْوِينِ وَصَقْلِ مَرَأَتِهِ الَّتِي يَظْهُرُ فِيهَا الْفَضْلُ وَيَسِّنُ.<sup>١</sup>

الفصل الثاني في ذِكْرِ مَنْ يَحْمِنُ أَنْ يَوْصِفَ بِالْكِتَابَةِ  
وَيَقَالُ لَهُ كَاتِبٌ وَذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ مَحَاسِنِهِ فِي النَّشْرِ وَلَوْ  
كَلْمَةً وَاحِدَةً لَكُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لِيَعْرِفَ بِهَا فَضْلَاهُ

فَأَقُولُ لَا يَوْصِفَ بِالْكِتَابَةِ إِلَّا مِنْ حُوْيَ فَنُونًا مِنَ الْعِلُومِ وَأَحَاطَ بِطْرَفِ حَسَنِ مِنْ كُلِّ  
مَعْلُومٍ فَيَكُونُ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ الْعَرِيزَ وَقَفَقَهُ فِي الدِّينِ بِرَهْهَةٍ مِنَ الزَّمَانِ وَرَوَى الْحَدِيثَ بَعْدَ  
سَمَاعِهِ وَعَرَفَ مَبَانِيهِ وَفَهْمَ مَعَانِيهِ وَعَلِمَ الْفَرَائِضَ وَتَضَلَّعَ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ وَرَقِيَ إِلَى ذَرْوَيَّ  
النَّظَمِ وَالنَّثَرِ وَتَصَرَّفَ فِي الْإِنْشَاءِ كَيْفَ شَاءَ وَرَوَى الْأَشْعَارَ وَالْأَمْثَالَ وَطَالَعَ السِّيرَ  
وَعَرَفَ<sup>٢</sup> مَعَانِي الشِّعْرِ وَأَنْوَاعِهِ وَأَوْصَافِهِ وَأَكْثَرُ مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَالْبَعْمِ وَعَرَفَ أَيَامَهُمْ  
وَأَحَادِيَّهُمْ وَسِيرَهُمْ وَتَوَارِيخَهُمْ وَوَقَائِعَهُمْ وَأَخْذَ بِطْرَفِ جَيْدِ مِنَ الْحَسَابِ وَدَخَلَ إِلَى  
كُلِّ عِلْمٍ مِنْ أَوْسَعِ بَابٍ وَتَحْلَى بِالْأَدْبُرِ الَّذِي هُوَ أَجْمَلُ مَا تَحْفَتَهُ الْهَمَةُ وَعَرَفَهُ هَذِهِ  
الْأَمْمَةُ لَأَنَّهُ يَطْلُقُ الْلِّسَانَ مِنْ عَقَالٍ وَيَنْطَقُ الْإِنْسَانَ بِفَصِيمِ الْمَقَالِ بَلْ لَا يَطْلُقُ إِلَّا  
عَلَى مَنْ ظَهَرَ نُورُهُ وَإِشْرَاقُهُ وَبَهْرُ فَضْلَهُ وَكَرْمُ أَخْلَاقِهِ حَتَّى صَارَ رَاحَةُ الرُّوحِ

١ كذا في ت؛ وفي ب: د زِيادة (وفي ج ما يشبهها)؛ وبها تم شرقاً قوله تعالى في وصف ملائكته «كَرَامَاكَاتِينَ». ٢ كذا في ت؛ وفي ب: النَّشْر وَعَرَف؛ د: النَّثَر وَعَلِم.

وأنس النفس فلا يقتصر في الفضل برده الصافي ولا يتذكر في العلم ورده الصافي.  
يهرز الزمان بهم عطفه ويظهر بهم لطفه. زند المني بهم واري١ وكوكب السعد  
عنهما غير متواير وقد وصف الله سبحانه الملائكة الكاتبين بالكرم والعلم فقال تعالى  
﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَا حَفْظَ لِكَيْفَيْنَ كَرَامًا كَاتِبَيْنَ﴾.

ومن الكتاب المشهورين والفضلاء المذكورين عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان آخر<sup>٢</sup>  
خلافه بنى أمية المقتول بوصير سدر من أعمال الجينية وهو أول من أوضح منهاج  
الكتابة والبراعة وحرر موازين الصياغة<sup>٣</sup> والبلاغة وله الرسائل المعروفة والفضائل  
الموصوفة وقد قيل في حقه بدأت الكتابة بعد الحميد وختمت بابن العميد. ومن محاسن  
كلامه قوله القلم شجرة ثمرها المعاني والقلب بحر لؤلؤة الحكمة. ومن محاسنه قوله  
استددم نعمة القدرة بالغفو. ولا تنس مع نصيبك من الدنيا نصيبك من رحمة الله.  
ومن وفائه الذي سُطّر في التواريخ<sup>٤</sup> ليستحي منه من لا مرارة له ويقتدي به من فيه  
مرارة أن مروان مخدومه قال له لما أحسن بأقراض دولته بخروج السفاح<sup>٥</sup> إن هذا  
الأمر لا بد أن يخرج من أيدينا ويرجع إلى هؤلاء القوم، يعني السادة<sup>٦</sup> الخلفاء بنى  
العباس وإلي أشير عليك بالمصير إليهم فهم يقدمونك لفضيلتك فلعلك تتفعني  
في مخلبي<sup>٧</sup> فقال له وما الذي يعلم الناس أثرك أمرتني بذلك ولوأني فعلت ذلك لعنفي  
الناس وأنشد [الطويل]

أَسِرُّ وَقَاءَ ثُمَّ أَطْهِرُ غَدَرَةً فَنَّ لِي بُعْدَرٍ يُوسِعُ النَّاسَ ظَاهِرَهُ

ولم يزل معه حتى قُتل قتله صالح بن علي.<sup>٨</sup>

١ بـ د: زيد المجد بهم ولد؛ ت: زند الملي بهم واري؛ ج: زند المجد لمحاسنهم واري؛ والمثبت يقتضيه السياق. ٢ كذا في ت؛ وفي بـ جـ دـ الفصاحة. ٣ كذا في ت؛ وفي بـ دـ زيادة (وفي جـ مثلها)؛ ذكر هنا. ٤ كذا في بـ دـ وفي تـ المتصور. ٥ كذا في تـ؛ والكلمة ساقطة في بـ جـ دـ. ٦ كذا في تـ؛ وفي بـ جـ دـ زيادة؛ وأهل من بعدي. ٧ كذا في بـ تـ؛ إلا أنه يأتي فيما (صالح بن عبد الرحمن)، وهو خطأ؛ والجملة ساقطة في دـ.

٢٢٣ ومن الكتاب الأجلاء الوزراء خالد بن برمك وزير المهدى وهو الذى سئى السوال  
الذين يقصدون الأكباد للرزق المستحبين. وما أحتاج أن أصفه لأن قول الشاعر  
فيه يكفى [الطوبل]

هَذَا حَالِدٌ فِي جُودِهِ حَدُوْجَهِ  
وَكَانَ بِنُوْأَلْعَادَمِ يَدِعُونَ قَبَلَهِ  
يُسَكِّمُونَ بِالسُّؤَالِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ  
فَمَمَّا هُمْ أَرْوَاسَ سَرَّ لِإِسْهَمٍ

ومن الكتاب الكبير الأجلاء يعقوب بن داود وزير المهدى الذى يقول فيه سلم<sup>٤،٢٣</sup> [البسيط] الخاسر شعر

**قُلْ لِلَّاهِمَّ الَّذِي جَاءَتْ خَلَاقَتْهُ  
نَهَدَى إِلَيْهِ بِحَقِّ غَيْرٍ مَرْدُودٌ  
أَخْرُوكَ فِي اللَّهِ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدْ  
نَعَمْ الْمَعْنَى عَلَى التَّقْوَى أَعْنَتْ بِهِ**

وفه يقول أبو الشخص [السيط]

الْبَلْغُ إِمَامَ الْهُدَى أَنَّ لَسْتَ مُصْطَنِعًا  
أَمْسَى يَقِيَّكَ بِنَفْسِكَ قَدْ حَبَّاكَ بِهَا  
إِنْ تَبْتَغِي مِثْلَهُ فِي الْأَنْسَابِ كُلُّهُمْ  
لِلشَّائِسَاتِ كِعَقُوبٍ بْنِ دَاؤِدٍ  
وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى عَكَايَةَ الْجُودِ  
ظَلَّبَتْ مَا لَيْسَ فِي الدُّنْيَا بِمَوْجُودِ

ومن الكتاب الأجلاء بحبي بن خالد بن برمك الذي يقول فيه مروان ابن أبي حفصة [الطويل] ٥٢٣

**إِذَا بَعْثَتَا الْعَيْنَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ أَخْدَنَا بِحَبْلِ الْيُسْرَ وَأَنْقَطَهُ الْعَسْرُ**

<sup>١</sup> كذا في ت؛ وفي ب، ج، د: الاعلام. <sup>٢</sup> في ت: سالم؛ وفي ب، ج، د: مسلم؛ واسم هذا الشاعر معروف مشهور.

ومن قوله السكر<sup>١</sup> كفر للنعمة. وفاعل الشر خادم الجهل. ومن قوله الدنيا ذل ولمال  
عارية ولنا بن قبلنا أسوة وفينا لمن بعدها عبرة. ومن تواقيعه الخراج عمود الملك فما  
استغزr بمثل العدل ولا استنزr بمثل الجور.

ومن قوله ما رأيْتَ بِكَ أَحْسَنَ مِنْ الْقَلمِ. وفيه يقول الشاعر [الكامل]

عَنْدَ الْكُلُونِيِّ مَصَرَّهُ وَمَنْ كَافَعُ  
إِنَّ الْعُرُوقَ إِذَا أَسْتَسَرَ هَا التَّرَى  
أُثْرِيَ النَّبَاتُ بِهَا وَطَابَ الْمَرْءُ  
فَكِادَ جَهَلَتِ مِنْ إِمْرِئِ أَعْرَاقَهُ وَقَدِيمَهُ فَأَنْظَرَ إِلَى مَا يَصْنَعُ

٦٢٢٣ وَمِنْهُمْ جَعْفُرُ وَلَدُهُ قَالَ ثَامِنَةُ بْنُ أَشْرَسَ كَانَ جَعْفُرُ بْنُ يَحْيَى أَحْسَنُ النَّاسِ لِفَاظِهِ  
وَأَدُومُهُمْ عِنْدَ الْحَدِيثِ لَحْظًا لَا يَتَوقفُ وَلَا يَتَجَلَّ وَلَا رَآهُ أَحَدٌ مُلْتَسِمًا لِلتَّخَلُّصِ فِي  
مَعْنَى أَعْيَاهُ فَهُوَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ [الْوَافِ]

بِكِيدِيهِكُهُ وَفِكَرَتُهُ سَوَاءٌ إِذَا ابْتَسَتَ عَلَى النَّاسِ الْأَمْوَارُ

وَكَذَا يَكُونُ مِنْ يَتَصَدِّي لِحِلْمِ الْمُلُوكِ مُوسُومًا بِالْعِلْمِ وَالْفَتوَّةِ مَعْرُوفًا بِالْفَضْلِ وَالْمَرْوَةِ  
وَاسْعِ الْصَّدْرِ رَحْبُ الْفَنَاءِ حَاضِرُ الْبَدِيهَةِ فِي الْخَيْرِ.

وَوَقَعَ عَلَى رِقْعَةِ الْأَهْلِ فَارِسٌ ضَمَنْتُ لَكُمْ إِنْ لَمْ تَعْقِنِي عَوَائِقَ بِأَنَّ سَمَاءَ الْجَوَرِ عَنْكُمْ  
سَتَقْلُعُ. وَوَقَعَ عَلَى ظَهَرِ رِقْعَةِ لَعِيَّ بْنِ عَيْسَى حُبُّ إِلَيْكَ الْوَفَاءُ الَّذِي أَغْضَبَهُ وَبُغْضَ  
إِلَيْكَ الْفَدَرُ الَّذِي أَحْبَبَتِهِ فَهَا جَرَاءُ الْأَيَّامِ أَنْ تَحْسَنَ ظَنِّكَ بِهَا وَقَدْ رَأَيْتَ غَدَرَهَا  
عِيَانًا وَإِخْبَارًا.

وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَحْبُّهُ وَيَنْتَابُ بِمَجْلِسِهِ وَيَمْدُحُهُ فَنَّ قَوْلُهُ فِي [الْمُتَقَارِبِ]

يُحِبُّ الْمَلْوُكُ نَدَى<sup>٢</sup> جَعْفَرٌ وَلَا يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ  
وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغَنَىٰ وَلَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ

١ كذا في د؛ وفي ب، ت، ج: الشكر. ٢ كذا في ت؛ وفي ب، د؛ يدا.

ومن الكتاب الفضل أخوه كان بين يدي الرشيد وقد رأى مع بعض الخدم قضية خيزران فقال يا فضل ما هذه قال هذه عروف الرماح يا أمير المؤمنين ولم يذكر الخيزران لأنَّ اسم أم الرشيد خيزران.

وكان العتاي الشاعر قد رمي عند الرشيد بالاعتراض فهدر دمه فعظم ذلك على الفضل وهرب العتاي عن بغداد فأحضر الفضل الكسائي وأمره أن يقرئ المأمون والأمين ولدي الرشيد شعر العتاي ورسائله ففعل فسمعها الرشيد منهما فسأل الفضل لمن هي فقال هي كلام العتاي فقال الرشيد لو رويها عنه كان أبلغ في إتقانها. فلاظف الفضل حتى أخذ للعتاي أماناً من الرشيد وسيرة إليه بفاء وأنشده [البسيط]

مَا زَلْتُ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ مُطَرَّحًا  
قَدْ غَابَ عَنِي وُجُوهُ الْآمِنِ مِنْ حِيلٍ  
فَلَمْ تَرَدْ دَائِيَاً تَسْعَى لِتُنْقِذَنِي  
حَتَّى أَخْتَلَسْتَ حَيَايَيْ مِنْ يَدِي أَجَلِي

ومنهم الفضل بن اليعوز وزير الرشيد والأمين الذي قال فيه أبو نواس [الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا غَابَ الْآمِنُ مُحَمَّدٌ  
عَنِ الْآمِرِ يَعْيِنُهُ إِذَا شَهَدَ الْفَضْلُ  
وَلَوْلَا مَوَارِيثُ الْثُبُوَّةِ إِلَهًا  
فَإِنْ يَكُنْ آلَيَامٌ فِيهَا تَبَاهُنْ فَقَوْلُهُمَا قَوْلٌ وَفَعْلُهُمَا فَعْلٌ

وقال له المهدى يوماً كذبت فقال وجه الكذاب لا يقابلك ولسانه لا يخاطبك.

ومنهم أحمد بن أبي خالد من قوله بالأقلام *تُسَاسُ الْأَقْلَيمِ*. ومنهم اسماعيل بن صبيح من قوله في شكر ما تقدم من إحسانك شاغل عما تأخر. ومنهم عمر بن مسعدة من مكتاباته قوله كثي ومتى من *أَجْنَاد٢* أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وقاده في الطاعة والانتقاد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأثرت أرزاهم عنهم واختلت أحوالهم.

<sup>1</sup> في سائر المخطوطات: لها؛ والمثبت يتضمنه السياق. <sup>2</sup> كذا في ج؛ وفي ب، د: قلب من أجناد؛ ت: قلي من أجنادي.

ومن الكتاب المشهورين الفضل بن سهل الذي يقول فيه ابراهيم بن العباس ١٠٢٠٣

[مجزوء المتنقارب]

لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدُ تَقَاصِرَ عَنْهَا الْمُكْثَلُ  
فَبَاطِئُهُمَا الْمَنَدَّةُ وَظَاهِرُهُمَا الْقُبْلُ  
وَبَسْطُهُمَا لِلْجَانِ وَقَبْضُهُمَا لِلأَجْنَلِ  
مِنَ الْفَضْلِ أَمْوَالُهُ وَمِنْ سَائِلِهِ الْأَمْكَلُ

ومن قوله كشفت الخبرة قناع الشك فهد السابق وذم الساقط . ومن كلامه الشرف في السرف فقيل له لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير، فقلب اللفظ واستوف المعنى . وهو الذي قال فيه أبو العيناء وقد سئل عنه فقال خلقه آدم في ولده فهو ينفع غلتهم ويسد خلتهم ولقد رفع الله للدنيا من شأنها إذ جعله من سكانها .

ومنهم أخيه الحسن بن سهل وهو الذي كتب إلى المؤمنون يستعطفه للناس ويحثه ١١٢٠٣ على أفعال البر وإيصال الأرزاق إلى الجائعين بباب إن داعي نداك ومنادي جدواك جمعاً ببابك الوفود يرجون نائلك فهم من يمتحن بحرمة ومنهم من يذلل بخدمته وقد أحجف بهم المقام وطالت عليهم الأيام فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعشهم بسيمه يتحقق ظنهم بطوله فعل . فوقع على ظهره رقته الخير متسعاً وأبواب الملوك مواطن لذوي المروات فأحص أسماءهم وأجلل مراتبهم ليصل إلى كل منهم قدر استحقاقه ولا تذكر معروفاً بالبطل والخجاف فإن الأول يقول [الوافر]

فَإِنَّكَ لَنْ تَرَى طَرَداً حَمِيرَ كَإِلَصَاقٍ بِهِ بَعْضُ الْهَوَارِ  
وَلَنْ تَجْلِبْ مَوَدَّةً ذِي وَفَاءٍ إِمْثَلْ الْبَذْلِ أَوْ لُطْفِ اللَّسَانِ

ومنهم الحسن بن وهب كتب يصف خطأً حسناً فقال لله ما ضمنته من وشي ١٢٢٠٣ ألفاظك وأودعته من شنج أقلامك وعمنته من بدائع حروفك وطرائف خطوطك

التي هي أحسن من الخيلان في خدود الحسان وأ benign من العقائص في فروع الأوانس وأبهى من الخضاب في أطراف الغانية الكتاب وأزهراً من اللؤلؤ والمرجان في سموط سلكات القيان وأنور من القلائد في لبات الحرائد وأ benign من منتظم العقود في جيد المغناج الرُّود وأزین من الدرَّ والبرجد في صدور النواعم الخرد.

١٣٠٢٠٣ ومنهم محمد بن عبد الملك الزيات من كلامه في الحزن لا تخدعنى نفسك عن الحزن فتُميل إلى التوانى في صورة التوكّل ويسليك الحذر ويورثك<sup>١</sup> الهونينا بإحالتك على الأقدار فإن الله سجاه إنما أمرنا بالتوكل عند انقطاع الحال وبالتسليم بعد الإعذار والاجتهاد وبذلك أنزل كتابه وأمضى سنته فقال تعالى ذكره ﴿خُذُوا حِذْرَكُم﴾ وقال تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الشَّهْلَكَة﴾ وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اعقلها وتوكل.  
١٤٠٢٠٣ ومنهم سليمان بن وهب من كلامه قوله رسوم الكرم ديون. وقوله النعمة عروس مهرها الشكر وأثواب صونها البشر. وقوله لا ضمان على الزمان ولا مضاعة بين الصناعة والقناعة.

١٥٠٢٠٣ ومن الكتاب المشهورين أبو بكر الغوارزمي من كلامه أراحي الشيخ أطال الله بقاءه ييره لكن أتعبني بشكره وخفق ظهري من ثقل الحزن لا بل أشقه بأعباء المن وأحياني بتحقيق الرجال بل أماتني بف्रط الحياة.

١٦٠٢٠٣ ومنهم أحمد بن محمد المعروف ببيع الزمان من قوله لو رأيت يا سيدي صدرى وقد انبسط بالولاء واتسع ولساي وقد انبعث بالثناء واندفع لقلت أقلادة هذه الجانحة أم صدر ولسان هذه المغارحة أم بحر؟ ومن كلامه هو سيف إلا أنه إنسان وعالم إلا أنه فد ونجم إلا أنه سعد. ومن كلامه كيف صدئت يا سيدي وأنت ذهب وأظلمت وأنت لهب وضللت وأنت نجم وأبطأت وأنت سهم وكيف كدرتك قذاة وأنت بحر وكسفتك نقطة وأنت بدر؟

١٧٠٢٠٣ ومن الكتاب المشهورين أبو الفضل بن العميد من كلامه يصف يوم حِرٍ وحدث حِرًا يشبه قلب الصبّ ويديب دماغ الضبّ.

١ بـ: دـ: وتسليك وторيك؛ تـ: فيسلبك الحذر ويورثك؛ والمثبت يقتضيه السياق.

ومنهم سعيد بن حميد من قوله معروفك معروف سبقت عائدهاته واتصل به ما ١٨٠٢٠٣  
بعده فصار نسباً اعتبرني إليه ورثاً اعتمد عليه. وله يستدعي صديقاً لزيارة طلت  
نجموم تنظر بدرأً لها فرأيك<sup>١</sup> في الطلوع قبل غروبها؟ وكتب إليه بعض أصحابه رقة  
يعذر فيها عن حضور مجلسه فوق على ظهرها أنت في أوسع العذر عند ثقتي بك  
وفي أضيقه عند شوقي إليك. وكتب في عهد بعض الولاة البس من ثوب عفافك  
ما يشمل كافة أطرافك. وكتب إلى بعض أوليائه وصل كتابك بما يستبعد الحر وإن كان  
قديم العبودية ويستغرق الشكر وإن كان سابق فضل لك لم يبق منه بقية.

ومنهم أبو الحسن بن الفرات كتب إلى بعض الوزراء في صباح حرس الله لي وذلك ١٩٠٢٠٣  
ولا فطن الدهر بحسن حالي عندك ومخني الإمتاع بك. وكتب إلى بعض أصدقائه  
أنا أسرّ بموعدك وأكون جذلاً<sup>٢</sup> بانتظارك فإن عاق عائق عن إنجاز وعدك كنت قد  
رجحت السرور بالتوقع لما أحبه وأصبحت أجرًا عند الحسرة بما حرمته من رفك.

ومنهم أبو الفتح البسيتي من قوله القلم مطية يمشي راكبها رهواً وتكسو الأنامل  
رهواً. ومن قوله من أطاع غضبه أضعه أدهبه. ومن قوله عادات السادات سادات  
العادات. ومن قوله الرشوة رشا الحاجة والظم مطية وطيبة وإفراط الدمامنة غثاثة  
والإنصاف من أحسن الأوصاف.

ومنهم أبو<sup>٣</sup> علي بن مقله من كلامه ما أحبّ الوزارة إلا لولي أفععه أو عدو  
أعمقه. ومن قوله الأصغر يهفون والأكبر يغفون. ومن قوله إذا رضيت آثرت وإذا  
غضبت آثرت. واعتذر إليه رجل فقال حسبك يا هذا فإن الولي لا يحاسب  
والعدو لا يحسب له.

ووصف بعض الكتاب رجالاً فقال هو أملس ليس فيه مستقرٌ لخير ولا لشر. وقال ٢٢٠٢٠٣  
بعض الكتاب الشكر وإن قل ثمر لكل نوال وإن جل. وخرج كاتب من دار الخلافة  
فقيل له كيف رأيت الناس فقال الداخل راجٍ والخارج راضٍ. ومن كلام العباس بن

١ كذا في ت وفي ب: بدرها فرأيك؛ د، ج: بدرها فرأيك. ٢ ب: جذلاً؛ ت: جذلاً؛ د: خذلاً؛ وعلَّ المثبت هو الصواب. ٣ الكلمة ساقطة في جميع المخطوطات وكنية ابن مقله مشهورة.

محمد الكاتب للرشيد يا أمير المؤمنين إنما هو مالك وسيفك فائز بعدها من شكرك وأحصد بهذا من كفرك. وكتب بعض الكتاب إلى جليل ما رجائي عدك زائدًا على مأمي فضلك.<sup>١</sup>

قلت فهو لاء هم الذين يطلق عليهم الكتاب ولقد كان الأول يخترن الناس <sup>٣٣٢٠٣</sup> للكتابة لا سيما إن كانت في ولاية على أعمال يحصل بها رئاسة يحتاج فيها إلى سياسة فيسألون عن منشأ الشخص ومرباء وصبوته وأصله وبيوته حتى يسألوا عن طالعه وولادته وقت مسقط رأسه من بطن أمه فإذا قيل لهم في ذلك قالوا إلا يحسن خدم الملوك إلا من له سعد في الطالع وأصل الولد وفضيلة تميزه فإن من لا سعد في طالعه ولا فضيلة فيه لا تكون به سعادة ولا عليه طلاوة. ثم ترك هذا الاستقصاء وصار يبحث عن وصف الإنسان فمن كان فيه شيء أعرضوا عنه وتجنبوه مناصبهم وظفروا منه مراتبهم فيشتغل بالنسخ أو الوراقه أو ما يشتغل به الكتاب الذين لا يصلحون خدم الملوك، حتى أنه ذكر بعض الوزراء كاتب احتاج إليه لجهة شغرت من كتبها فذكر بين يديه وشكر فقال بعض الحاضرين للذى شكره بحضور الوزير: هو محمد بن راشد بن اسحق النظيف الشيب المتصرف في الآداب؟ قال نعم قال هو الذي قال فيه أبو<sup>٢</sup> عمران الشاعر السامي [الخفيف]

يَا بَنِي يَا ابْنَ رَاشِدٍ يَا كَرِيمَ الْمَشَاهِدِ  
أَنْتَ أَشْهَى إِلَيَّ مِنْ كُلِّ عَذْرَاءٍ نَاهِدِ

قال نعم فقال الوزير من كان فيه شيء لا يذكر لأعمال السلطان لأن كاتب العمل نائب عن السلطان في كلامه وكتابه وأمره ونهيه فيليكن بأحسن الأوصاف حتى يصلح أن يلي أمر الناس. ووصف آخر فقال أحد الحاضرين هذا كان يبيع الزيت في صباح فأنكره الواصف وقال ما باع الزيت قط فقال أليس ابن أبي العلاء فيه وقد خدم مرة [الطويل]

١ كذا في بـ دـ والجملة ساقطة في تـ. ٢ في سائر المخطوطات: ابن، وهو خطأ.

الباب الثالث في وصف الكتبة والكتاب وفيه فصول ثلاثة

يُمَكِّسْنِي الْرَّيَاثُ حَتَّى لَوْأَنَّهُ مِنَ الْرَّقِ يُعْطِينِي الْمَطِيهَ مَا عَدَا

فقال الوزير لا يصلح هذا لعلمنا.

وذُكر شخص عنده بجبر ف قال واصفه ما أحسن له ولا إفراط عجبه وكراهه وأنشد

مَا أَقْبَحَ الْعَجَبَ وَأَرَادَاهُ وَأَسْسَمَ الْكِبَرَ وَأَدَنَاهُ

والله ما يصلح لتلك الحلاقة ولاية إلا نقل أخبار المسجونين<sup>١</sup> لأن يكون منصبه الحبس مع الحابس.

ولقد كان الخلفاء والملوك والرؤساء ينهون عن استعمال أهل الريف وأهل السواد في شغل من أشغال الملوك أو أن يكون لهم في الدول حديث<sup>٢</sup> حتى أن بعض أهل الريف رفع قصة إلى أحد وزراء كسرى أنسوروان يتضمن التزامه بمال كبير في عمل من الأعمال بشرط أن يتولى العمل من يرضاه السلطان ويكون هذا الربيء بين يديه ينهي إليه وجوه المال فعرض الوزير القصة على كسرى فأنكر عليه غایة الإنكار وقال لو كان فيك صلاحية لتدمير الملك والرعية لما عرضت قصة ربيء ربيء بين الأبقار والمعز وأجهده كل الزروع ينخرف لك بما يؤذي به الناس حتى يرتفع من ذل السوداوية وحساسته الأصل والريفية<sup>٣</sup> أن يصير له في الحكم على الرعايا نسب يتوصل به إلى إهانة ذوي البيوت العريقة والحط من مراتبهم إن هذا لم ينأسوا الأحوال المفسدة للملك المضرة بقوانيں تدميره. ثم نهى أن يستغل أولاد الأريف بالكتابة والعلم.

وقد ورد أن رجلاً كان يبيع الفول نشاً له ولد بعد هذه الكائنة فبذل لحرثاته الكسرى مائة ألف درهم على أن يؤذن لولده في الاستغلال بالعلم والكتابة فوقع على قصته لا حاجة لنا بما بهذه ولا يمكن من الاستغلال بالعلم والكتابة فإن أولاد الأطراف متى

١ كذا في ت؛ وفي ب، ج، د زبادة: يعرض. ٢ كذا في ت؛ وفي ب، ج، د زبادة: من قبيل الزمان. ٣ كذا في ت؛ وفي ب، ج، د زبادة: إلى عند (ج: عن) الكتابة و. ٤ كذا في ج؛ وفي ب: الرعية نشب: ت: الرعايا نشب: د: الرعية كسب. وما بعد هذه الكلمة إلى (ثم) ساقط في ب، ج، د.

اشتغلوا بالعلم مع اشتغال أولاد الرؤساء بالنعم والملاذ وإهمالهم أسباب التقدم  
واللهمق بآبائهم تقدم الأطراف ولو لا الأمور وأهانوا أولاد الأشراف وأضعواهم  
ولا حاجة لنا إلى استعمال طرف البة.

٢٦٠٢٣  
واشتبغل رجل يقال له حميد بن بشير بالكتابة فذكر عند بعض الوزراء لشغل فقال  
رجل في المجلس هذا من أهل السواد أي الريف فقال الوزير لو غسلت عامية  
السوادي بألف بحرب من الأدب ما طهرت وقال تصدر الأرياف في المجلس عار  
يذكر إلى آخر الزمان فقال بعض الحاضرين للوزير يا مولانا أنت تنظر بمنور الله فإن  
بعض الشعاء قد أنسد في حميد بن بشير هذا المذكور [المقارب]

حُمَيْدُ بْنُ بِشَرِّ لَهُ هَنَّةٌ وَلَكِنَّهُ قَدْ نَشَأَ فِي السَّوَادِ  
يُطَلِّبُ مَا لَيْسَ مِنْ شَائِنَهُ فَنِي تَعَبٌ دَهْرُهُ وَأَرْتِكَادٍ

فقال الوزير لهذا نهينا عن تقديم الأرياف السوادية الأطراف.

٢٧٠٢٣  
وعرض على بعض ولاة الأمر جماعة ليتولوا مراتب فسأل عن مرباهم فقيل له  
الريف فأنكر عليهم وقال نحن طلبنا أناساً أو طلبنا أبقاراً للحرث فقال له أحد الحاضرين  
وفق الله مولانا الوزير في قوله وفعله هولاء المذكورون مولانا من أهل الريف ولهم  
اجتماع بشارة وخلطة وقد قال فيهم الشاعر [الطويل]

أُولَئِكَ قَوْمٌ بِالْفَدَانِ كَانُوكُمْ إِذَا مَا عَدُوا يَا قَوْمٌ فِي بَقَرِ الْحَرْثِ

٢٨٠٢٣  
ولما تولى أبو يعلى الكاتب الديوان بالعراق أنسد فيه [البسيط]

سَاوِي الْوَزِيرُ أَبَا يَعْلَى وَسَائِرُهُ بَعْدَ الْمَحَاجِمِ وَالْمَقْرَاضِ وَالْجَلِمِ  
فَكَالَّقَوْمُ وَشَانَشَهُ كَابَثُهُ ۲ يَارَبُّ حُكْمَكَ ۳ إِذْ عَلَمْتَ بِالْقَلْمِ

١ كذا في ت؛ وفي ب، ج، د: للقدان. ٢ كذا في ت؛ وفي ج، د: وسامتهم كابتهم (ج: كاتبه). ٣ كذا في ج، د؛ والكلمة غير مقروءة في ب؛ وفي ت: مارث حلمك.

الباب الثالث في وصف الكتبة والكتاب وفيه فصول ثلاثة

وتقرب بعض أهل الريف بمال من كان يرتفق في خدمته حتى خدم فلما خدم  
انكشف جعله وفسد عليه شغله فصرف وغنم عوض ما أتلفه بسوء تدبيره فعمل فيه  
الشاعر [البسيط]

مَنْ كَانَ مَا يَطْلُبُ فَرَقَ قَدْرَهُ لَمْ يَعْدِمِ الْدَّهْرُ فَسَادَ أَمْرَهُ

وأنشد فيه آخر [الطويل]

لَقَدْ كَانَ مَسْتُورًا عَنِ النَّاسِ عَجْزٌ إِلَى أَنْ وَلِيَ أَمْرًا فَضَاقَ بِهِ صَدْرًا

وصرف بعض الفضلاء بجهل من أهل الريف كان قد يبيع الرمان والتمر يعرف  
بأبي الهرطمان فأنسد فيه [السريع]

يُصَرِّفُ مِثْلِي بِأَبِي الْهَرْطَمَانِ بِيَابِعِ الرَّمَانِ فِي الْنَّهْرَوَانِ  
وَبِيَابِعِ الْمَرْ عَلَى مَرَسِهِ أَلَيْسَ هَذَا مِنْ عَجَبِ الْرَّهَانِ

وأنشد غيره [الطويل]

اَلَّا رَبَّ حَطِّ جَامِرٍ بِالْمَرِّ قَدْرَهُ فَبَلَغَهُ مَا لَمْ يَكُنْ قَطُّ يَأْمُلُهُ

وأنشدوا في ابن التواويدي [الطويل]

لَقَدْ نَقَقَ الْجَحْنُونُ فِي كُلِّ دُوَلَةٍ وَظَلَوْا بِهِ ظَلَّا وَلَيْسَ كَمَا ظَنُوا

واسْتُخدم ريفي ساقط كان إذا خلا يسرخ منه جلساً ويشيلوا رجله وإذا جلس  
في الديوان يتحامق ويترافق ويتجانن فقيل فيه شعر [مجزوء الكامل]

١ كذا في ب، د؛ وفي ت: وتقرب.

الباب الثالث في وصف الكتبة والكتاب وفيه فضول ثلاثة

لَوْ قَدْ تَرَاهُ إِذَا خَلَا      فِي الْيَتِّ قَدْ شَالُوا كِتابَةَ  
لَرَأَيْتَ أَقْبَحَ مَنْظَرٍ      وَتَكَسَّفَتْ تِلْكَ الْمَسَابَةَ

٢١٠٢٣ وبذل بعض أهل الريف مالاً لمن توسط له في خدمة وكان يعرف بابن منارة فلما  
خدم في الديوان تحامق وطاش عقله وكاد يفتضح فقال يوماً أنا أعلم الناس بيع عقلي  
فقال فيه الشاعر [الطويل]

لَقَدْ تَأَلَّ يَحْيَى إِذْ وَلَيْ فَوْقَ قَدْرِهِ  
وَأَظْهَرَ كِبَرًا مُفْسِدًا كُلَّ أَمْرِهِ  
يُخْكِاطِبُنَا بِالرُّبُعِ مِنْ كُتُبِهِ عَقْلِهِ  
وَيُسْرِفُ فِيمَا يَدْعِيهِ بِكِبْرِهِ  
فَلَا بَارَكَ الرَّحْمَنُ فِي آبَنِ مَنَارَةٍ  
وَأَفْقَدَهُ مِنْ عِيشَهِ شَطْرَ عُمْرِهِ

٢٢٠٢٣ قال بعض الحكاء موت ألف من الأكابر الأصلاء العريين أخف في الدول من ارتفاع واحد من السفل. وقال بعض الحكاء أيام تقديم الأطراف فإن من رباء الهوان أبطرته الكراهة. وقال بعض الحكاء من عظم ثياماً شاركه في لومه. وقال بعض الحكاء من كان الإكرام داءه كان الهوان دواءه والمرء متى ألف الهوان فلا يقبل الإكرام.  
٢٢٠٢٣ ومن أعجب ما جرى في زمن المعتصم أن ريفياً كثراً ماله فتوسل به إلى أن ذكر عنده زير المعتصم واستأنف له بعض من قبل رشوته أن يركب في موكب الوزير فأذن له فصار يركب الخيل الجياد وأزدادت حماقه وكان يقال له مُقران فعمل فيه أبو تمام [المتقارب]

أَمْقَرَانُ يَا آبَنَ بَنَاتِ الْمُلُوْجِ      وَنَسَلَ الْيَهُودِ شِرَارِ الْبَشَرِ  
لَقَدْ صِرْتَ بَيْنَ الْوَرَى عِبْرَةَ      مِنْكَيْتَ الْهَمَالِيَّعَ بَعْدَ الْبَقَرَ  
وَبَدَلْتَ بِالْمَكَرِ ذَا مَيْعَةً      وَمَا إِنْ لِسَوْطَكَ فِيهِ أَشَرَّ  
فَقُولَا لِمُقْرَانَ فِيهِ الْمَقَامُ      وَهَذَا حِصَادُكُمْ قَدْ حَضَرَ  
بِمِنْ الْسَّيْفِ ثُمَّ أَسْتَحِدُ مِنْجَلاً      وَدَعْ عَنْكَ حَمْلَ الْحُسَامِ الْذَّكْرُ

١ الكلمة غير منقوطة في ب، د؛ وفي ت: معنة؛ والمثبت يتضمنه السياق. ٢ كذا في ت؛ وفي ب، د: دع.

فلما بلغ الوزير الشعر قال لا يليق أن يكون في موكبنا من للشعراء في عرضه هذا المجال  
فقبع الله من غشّنا بذكراه في مجلسنا واستأذن في ركبـه معناـ وأمره بالرجـوع إلى  
أشغالـه بالـريف وسقطـ مـن ذـكرهـ من عـينـ الوزـيرـ وتـغيرـ عـلـيـهـ وـتـهـقـرـتـ أحـوالـهـ.

ومن غرائب ما جرى من الاتفاق الغريب العجيب ما أنهىـهـ للـسلطـانـ السـعـيدـ  
٢٤٠٢٠٣ الشـهـيدـ المـلـكـ الـكـاملـ قدـسـ اللهـ روـحـهـ فـتـجـبـ منهـ وـهـوـأـيـ كـنـتـ مشـتـغـلـاـ بـالـعـلـمـ مـنـذـ  
نـشـأـتـ وـلـمـ يـكـنـ ليـ تـعـلـقـ بـالـدـيـوـانـ فـيـنـاـ أـنـ رـاكـبـ فـيـ بـعـضـ الـأـيـامـ إـذـ لـقـيـ رـجـلـ مـصـرـيـ  
أـسـمـ اللـوـنـ قـدـ خـطـهـ الشـيـبـ وـهـوـ رـاكـبـ بـغـلـةـ فـسـلـ عـلـيـ فـرـدـتـ عـلـيـهـ السـلـامـ فـقـالـ يـاـ  
مـوـلـايـ لـاـ تـسـمـ فـيـ كـلـامـ أـصـحـابـ الـأـغـارـاضـ فـاـنـ مـلـوـكـ وـالـدـكـ القـاضـيـ عـلـمـ الدـيـنـ وـلـيـ  
عـلـيـ خـدـمـةـ فـقـلـتـ يـاـ أـخـيـ مـنـ أـنـتـ فـوـالـهـ مـاـ أـعـرـفـ وـمـنـ أـنـاـ حـتـىـ أـسـمـعـ فـيـكـ كـلـامـ  
الـمـتـعـرـضـيـنـ؟ـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ إـنـمـاـ يـسـوـغـ قـوـلـهـ لـوـلـةـ الـأـمـورـ وـلـسـتـ مـنـهـمـ فـقـالـ أـمـاـ أـنـاـ فـابـنـ  
الـصـخـرـ الـذـيـ بـأـيـارـ وـقـدـ بـلـغـيـ مـنـ اـبـنـ صـاحـبـ تـرـيـبـ٢ـ أـنـكـ قـلـتـ لـاـ بـدـ أـنـ أـغـرـمـ اـبـنـ  
الـصـخـرـ سـبـعـةـ آـلـافـ دـيـنـارـ وـآـخـذـ خـطـهـ بـهـاـ لـلـسـلـطـانـ فـقـلـتـ يـاـ شـيـخـ أـمـاـ أـنـتـ فـسـمـعـتـ  
بـكـ وـأـمـاـ مـنـ ذـكـرـتـهـ فـوـالـهـ مـاـ أـعـرـفـهـ وـلـيـ إـلـمـ بـخـدـمـةـ السـلـطـانـ وـلـاـ الـوـزـيرـ وـإـيـ  
رـجـلـ مـقـطـعـ فـيـ مـدـرـسـةـ أـشـغـلـ بـالـعـلـمـ وـلـاـ أـعـرـفـ شـيـئـاـ مـنـ حـالـكـ وـلـاـ غـيرـكـ وـلـاـ أـنـاـ  
مـنـ ذـلـكـ الـقـبـيلـ فـعـلـكـ غـالـطـ فـيـ وـتـجـبـتـ مـنـ حـدـيـثـ.٣ـ

٢٥٠٢٠٤ ثـمـ اـتـقـ لـيـ الـحـضـورـ بـيـ يـدـيـ الـسـلـطـانـ الشـهـيدـ فـيـ مـبـاحـثـةـ فـسـمـعـ كـلـاـيـ وـرـسـمـ  
بـأـنـظـاميـ فـيـ سـلـكـ الـمـمـالـيـكـ.ـ وـخـرـجـ أـمـرـهـ إـلـيـ فـيـ مـبـاشـرـةـ الدـوـاـوـينـ بـالـدـيـارـ الـمـصـرـيـةـ  
كـلـهاـ مـاـ خـلاـ مـوـاضـعـ يـسـيـرـةـ فـكـبـتـ أـنـهـيـ إـلـىـ السـلـطـانـ أـنـيـ لـمـ أـحـضـرـ دـيـوـانـاـ قـطـ وـلـاـ  
عـرـفـتـ شـيـئـاـ مـنـ عـرـفـ الدـوـاـوـينـ وـلـاـ أـوـضـاعـهـاـ وـمـتـ عـلـمـ الـمـسـخـدـمـونـ بـالـبـلـادـ أـنـهـ قـدـ  
وـلـيـ عـلـيـهـمـ جـاهـلـ بـالـدـيـوـانـ اـتـقـواـمـ بـالـمـسـتـوـفـينـ بـالـبـابـ وـنـهـبـواـ الـأـمـوـالـ.  
فـلـمـ وـقـفـ السـلـطـانـ قـدـسـ اللهـ روـحـهـ عـلـيـ وـرـقـيـ رـسـمـ بـأـعـفـائـيـ وـشـكـرـيـ وـقـالـ  
كـمـ بـيـنـ مـنـ يـتوـسـلـ حـتـىـ يـخـدـمـ فـيـ فـرعـ مـنـ الـفـرـوـعـ وـبـيـنـ مـنـ نـوـلـيـهـ مـنـ مـكـةـ حـرـسـهـاـ

١ـ كـذـاـ فـيـ تـ؛ـ وـالـكـلـمـةـ سـاقـطـةـ فـيـ بـدـ.ـ ٢ـ كـذـاـ فـيـ تـ؛ـ وـفـيـ بـ،ـ جـ،ـ دـ؛ـ بـلـغـيـ مـنـ صـاحـبـ أـنـكـ.ـ ٣ـ كـذـاـ فـيـ تـ؛ـ وـفـيـ بـ،ـ  
جـ،ـ دـ زـيـادـةـ؛ـ وـمـضـيـ عـلـيـ ذـلـكـ مـدـةـ طـوـيـلـةـ.ـ ٤ـ كـذـاـ فـيـ تـ؛ـ وـفـيـ بـ؛ـ الـمـسـتـحـدـثـونـ؛ـ دـ؛ـ الـمـسـتـحـدـثـونـ.

الله تعالى إلى دمياط فيستعفي ويقول ما رأيت ديواناً قط؟ فقال من كان حاضراً يا مولاً ي إن كان كما قال فيوله السلطان الشرقة والغربية يتعلم فيما عُرف الديوان فإذا عَرَفَ ذلك ينقله السلطان إلى هذه الأشغال فقال ما نكث عليه بل نولي الشرقة يتعلم فيها عُرف الديوان فإنها خفية الحال.

فأحضرني قدس الله روحه بين يديه وقال أنا أوليك الديار المصرية تأبى وتقول ما أحسن وأوراق القاضي صفي الدين بن شكر عندي بأنك أهل لتدبير الدولة كلها فقلت يا مولانا القاضي صفي الدين أحسن الظن بي وأنأ أعرف بنفسي فقال لا ترددني فوالله لي فيك أمل أن أعظم قدرك وأجعل هؤلاء كلهم يتذدون إلى بابك، يعني قوماً كانوا خواص في خدمته. فدعوت له وخرجت إلى الشرقة كأمر.

فلمّا عاد ركابه العزيز<sup>٢</sup> من الشرق<sup>٣</sup> طلبني وأحضرني بين يديه وأمرني أن الازم<sup>٤</sup> ٣٦٠٢٣ خدمته فكثت أحضر في كل يوم مبكراً فإذا علم أني بالباب خرج أمره بإحضار مستوفي الخزانة وهو سعيد الدولة الإباري إحضار الصناعة وكان إذ ذاك مستوفى النظر فيخلوا بين يديه فيقرؤن الأموال وجهاتها والباقي وأربابها فلا يتقضى نهار إلا بتقير مصالح واستخراج أموال وترتيب دواوين ونظام وولاة.

وصرت أجلس أنا وخر الدين عثمان رحمه الله وكان قد فرض إليه أمر الدواوين في اجتماعهم واستخراج الأموال بكتبه ورسله فرسم السلطان قدس الله روحه بالكشف عن جهات من جملتها دمياط وعيّن لها ابن مفسين<sup>٥</sup> وابن هبلان<sup>٦</sup> وعيّن خر الدين عثمان ابن الصخر يكون مع ابن مفسين وابن هبلان في الكشف على ابن حسون والي دمياط فرأى ابن الصخر التذكرة فيها ثمانية وعشرون ألف دينار فلما سُخِّنَ عقل أهل الريف على الحروف من هذه الجملة وتوهم أنها لازمة له فاستعنى من الكشف وقال من في قدرته ثمانية وعشرون ألف دينار؟

١ كذا في ت؛ وفي ب، ج، د: الصاحب. ٢ كذا في ت؛ والكلتان ساقطتان في ب، ج، د. ٣ كذا في ب، ت؛ وفي د: الشرقة. ٤ كذا في ت؛ وفي ب، ج، د: هفسين. ٥ كذا في ت؛ وفي ب، ج، د: هيلان.

فقال له فخر الدين عثمان يا شيخ أنت تريد ألف كاشف يكشفون عليك؟ فـإـنـ عندـ السـلـطـانـ فيـ حـقـكـ منـ الـأـوـرـاقـ بـمـاـ اـعـتـدـتـهـ فيـ إـيـارـ مـاـ يـوجـبـ أـخـذـ رـوحـكـ .ـ وـماـ قـصـدـنـاـ أـنـ تـرـوحـ كـاـشـفـاـ إـلـاـ لـيـزـوـلـ مـاـ فـيـ خـاطـرـ السـلـطـانـ مـنـكـ وـأـنـ تـوـقـفـ وـلـوـكـانـ فيـ التـذـكـرـةـ مـائـةـ أـلـفـ دـيـنـارـ مـاـ لـزـمـ الـكـاـشـفـ مـنـهـ شـيـءـ فـلـمـ يـدـخـلـ فـيـ عـقـلـهـ هـذـاـ الـكـلـامـ وـسـائـلـيـ أـنـ أـطـالـعـ السـلـطـانـ بـأـنـهـ اـسـتـغـفـيـ .ـ

فـلـمـ حـضـرـتـ بـيـنـ يـدـيـهـ قـالـ دـبـرـنـاـ فـيـنـ ٣ـ يـكـشـفـ لـنـاـ جـهـةـ أـخـرىـ فـدـمـيـاطـ قـدـ رـاحـ لـهـ كـاـشـفـ قـلـتـ يـاـ مـوـلـاـنـاـ فـلـمـ يـبـنـتـ فـيـ دـمـيـاطـ أـمـرـ إـلـىـ الـآنـ قـالـ كـيـفـ ذـلـكـ قـلـتـ اـبـنـ الصـخـرـ كـأـهـ حـمـلـهـ عـقـلـ أـهـلـ الـرـيفـ عـلـىـ الـحـوـفـ مـنـ جـمـلـةـ التـذـكـرـ فـأـسـتـغـفـيـ فـقـالـ هـذـهـ حـرـكـاتـ فـخـرـ الـدـيـنـ عـثـمـانـ مـاـ زـالـ بـيـ حـتـىـ جـعـلـهـ كـاـشـفـاـ وـهـوـ يـرـيدـ أـلـفـ كـاـشـفـ يـكـشـفـوـنـ عـلـيـهـ .ـ ثـمـ طـلـبـ فـخـرـ الـدـيـنـ وـقـالـ لـهـ أـنـتـ لـصـادـقـتـ كـمـ اـبـنـ الصـخـرـ جـعـلـتـهـ كـاـشـفـاـ وـعـنـدـيـ عـلـيـهـ أـورـاقـ بـثـلـاثـيـنـ أـلـفـ دـيـنـارـ يـرـيدـ مـنـ يـكـشـفـهـ عـلـيـهـ فـقـالـ وـكـذـاـ قـلـتـ لـهـ فـأـمـرـ بـإـحـضـارـهـ وـقـالـ لـهـ أـبـعـثـ لـكـشـفـ تـأـبـيـ وـأـنـتـ أـحـقـ بـالـكـشـفـ عـلـيـكـ؟ـ فـأـعـذـرـ فـقـالـ أـمـسـكـوـهـ فـسـبـهـ أـمـيرـ جـانـدـارـ بـطـيلـسـانـهـ وـأـخـرـجـهـ .ـ

٢٧.٢٠٢ ثم قال لي السلطان رحمة الله يا فلان هؤلاء الأريفات متى طال ذيلهم طغوا وبغوا وعصوا وصادقوا مقدمي العربان وتحدىوا معهم في الفساد وأضموه لوقته وهم ذخائر رديئة.

ثم قال والله ما كان للسلطان رحمة الله عند ابن الصخر شيء وإنما لما سمع بطول ذيله وكثرة ماله علم أن ذلك يجعله على الفساد ففرمه جملة. وأنا ساعدهه فيها بالغين وخمسينات دينار لأنّه كان يخدموني إذا جئت إلى إيار وكانت أتفرج في بيته ثم ساحتته فيها بألف دينار.

قلت يا مولا الذي نظره السلطان يغضبه فيه القرآن قال الله تعالى ﴿ كـلـاـ إـنـ الـإـنـسـانـ لـيـطـعـيـ أـنـ رـأـهـ أـسـتـغـفـيـ ﴾ قـالـ فـكـيـفـ بـمـنـ هـوـغـيرـ إـنـسـانـ ثـمـ قـالـ لـيـ قـدـسـ

١ كذا في ت؛ وفي ب، ج، د زياـدةـ وـالـمـافـعـاتـ .ـ ٢ كـذـاـفـيـ تـ؛ـ وـفـيـ بـ،ـ دـ إـيـانـ .ـ ٣ كـذـاـفـيـ تـ؛ـ وـفـيـ بـ،ـ جـ،ـ دـ زـيـادـةـ يـرـوحـ .ـ ٤ كـذـاـفـيـ بـ،ـ دـ؛ـ وـفـيـ تـ؛ـ جـمـدارـ .ـ ٥ كـذـاـفـيـ تـ؛ـ وـفـيـ بـ،ـ جـ؛ـ الـمـلـكـ الـعـادـلـ .ـ

الله روحه كم تقرر عليه قلت لا إله إلا الله يا مولانا لقد جرى لي مع هذا الرجل قضية بخيبة وهي من غرائب ما يقع في الوجود وذلك أنه لقيني في سنة إحدى عشرة وسبعينه وأنا لا أعرفه وقال لي أنا مملوكتك ولي على والدك خدمة وقد بلغني أنك تريد أن تثبت في جهتي سبعة آلاف دينار وذكرت للسلطان حديثي معه إلى آخره.

ثم قلت يا مولانا ها نحن في سنة سبع وعشرين<sup>١</sup> وقد قال مولانا بكم تأخذ خطه وقرر عليه وبين حديثه معي وخوفه متى وبين حضوري بين يدي السلطان ست عشرة سنة. فتعجب السلطان قدس الله روحه من ذلك ثم قال والله ما نخرج عنها ثم قال يا خير الدين خذ خطه بالسبعة آلاف دينار التي خاف من فلان أن يأخذ خطه بها من ست عشرة سنة فأخذ خطه بذلك.

ثم قال السلطان إن هؤلاء النصارى الأقباط متى كثُر مالهم هاجوا وكاتبوا الفرج القريين والبعدين وأطلاعهم على ارتقاع الدولة وأحوال العساكر وعدتهم ورغبوم في قصد البلاد بكل طريق وأتوا جواسيسهم وعملوا كل نحس وكذلك أهل الريف ينبغي قص أجنحتهم وما يبالون بذلك فإنهم يزرون ويفعلون كما فعلوا أولاً وأموالهم تزداد على عادتهم وضرورتهم تدر دوابتهم تنتح وبساتينهم تمر وما ثم إلا أخذ المال الذي يطعون به والسلام فالله تعالى يتقدمه برحمته ويسكته فسيح جنته إنه غفور رحيم.<sup>٢</sup>

### الفصل الثالث في ذكر شيء من أشعار الكتاب الفضلاء ولو بيت واحد

خالد بن برمك الكاتب [المتقارب]

رَقَدْتَ وَلَمْ تَرِثِ لِلسَّاهِرِ وَلَيْلُ الْحِبْ بِلَا آخِرِ  
وَلَمْ تَنْدِرْ بَعْدَ ذَهَابِ الْرُّقَا دِمًا فَعَلَ الدَّمْعُ بِالْمَاظِرِ

١ كذا في ب، د؛ وفي ت زيادة: وسبعينه، وهو خطأ. ٢ كذا في ت؛ والجملة ساقطة في ب، د.

الباب الثالث في وصف الكتبة والكتاب وفيه فصول ثلاثة

وله من آيات [الكامل]

**فَعَلْتُ أَطْلُبُ وَصَلَّاهَا إِنْذَلِيلٍ وَالشَّيْبُ يَغْرِرُهَا بِأَنَّ لَا تَفْعِلِيلٍ**

يعقوب بن داود وزير المهدى [الكامل]

٤٣٤٣

نَزَعَ الْمَسِيبُ شَرَاسَيِّي وَغَرَامِي  
وَلَقَدْ حَرَضْتُ بِأَنَّ أُواريَ شَخْصَهُ  
وَصَبَغْتُ مَا صَبَغَ الْمَسِيبُ فَمَمْ يَدْمِ  
لَا تَبْعُدَنَّ شَكِيبَهُ ذِيَّالَهُ  
مَا كَانَ مَا آسْتَضْجَبْتُ مِنْ أَيَّامِهَا

٤٣٤٤

الفضل بن الريح [البسيط]

أَمَا تَرَى الْيَوْمَ مَا أَحْلَى شَكَالَهُ  
صَحُو وَغَيْمٌ وَابْرَاقٌ وَإِنْ عَادُ  
كَاتِهُ أَنْتَ يَا مَنْ لَا شَيْءَ لَهُ  
وَصَلْ وَبَحْرٌ وَقَرِيبٌ وَإِنْ عَادُ

٤٣٤٥

محمد بن عبد الملك الزيات [الخفيف]

رُبَّ لَيْلٍ أَمَدَّ مِنْ نَسِينَ الْعَكَارِ  
سِقْ طُولاً قَطَعْتُهُ بِإِتْحَارِ  
وَسِيمِ الَّذِي مِنْ وَصَلِ مَعْشُورٍ

وله أيضاً [الكامل]

وَهِيَ الَّتِي قَالَتْ وَقَدْ جَعَلَتْ تَسْكُلُ مِنْ وَجَنَاحَهَا الْخَمْرُ  
إِمْكَدْ بِدَائِكَ هَلْ مَرَأَتْ كَدَا بِكَدْرَا يَلْوُحُ بِخَدِّهِ الْبَذْرُ<sup>١</sup>

١ كذا في ب، ت، د؛ وفي ج: ومليحة. ٢ كذا في ب، ت، د؛ وفي ج: اذهب. ٣ كذا في ب، ت، د؛ وفي ج: الجمر.

الباب الثالث في وصف الكتبة والكتاب وفيه فصول ثلاثة

إبراهيم بن العباس الصولي [الخفيف]

٥٢٣٣

صَدَّ عَكِيْ وَصَدَّقَ الْأَقْوَالَ وَأَطَاعَ الْوُشَاةَ وَالْعُذَّالَ  
أَتُرَاهُ يَكُونُ شَهْرَ صَدْوِ وَعَلَى وَجْهِهِ مَرَأَتُ الْهَلَالَ

وله أيضاً [الطويل]

بِنَسِيٍّ وَأَهْلِي سَاحِرُ الظَّرْفِ فَاتِرُ  
مُحَكَّمَةَ أَجْفَانِهِ وَمَحَاجِرَهُ  
بِسَاسِرُ خَدَّيْ خَدَّهُ فَكَانَتِي  
بِسَاطِنِ أَخْشَائِي وَقَلِيلِي أَبَاشِرِهِ

وله إلى ابن الزيات في يوم مطر [الخفيف]

يُوضِّحُ الْعَذْرَ فِي تَرَاجِي اللَّقَاءِ مَا تَوَلَّ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاءِ  
فَسَلَامُ الْأَلِهِ أَهْدِيهِ مِيَّهِ  
كُلَّ يَوْمٍ لِسِكِيدِ الْوَزْمَاءِ  
لَسْتُ أَدْرِي مَاذَا أَذْمُ وَأَشْكُو  
مِنْ سَكَاءِ تَعْوِقِي عَنْ سَكَاءِ  
غَيْرِ أَيِّيْ أَدْعُ عَلَى تِلْكَ بِالصَّحْوِ  
وَادْعُوا لِهَذِهِ بِالْبَقَاءِ

أبو العباس أحمد بن الرومي الكاتب [الخفيف]

٦٢٣٣

رَوْضُ وَرْدِ خَلَالَهُ تَرْجِسُ عَنْ  
يَحْفَانِ أَقْوَانَا نَضِيرًا  
ذَا يُبَاهِي لَنَا خُدُودًا وَذَا يُضَاهِي شُوَّرًا

أبو جعفر محمد بن العباس [السريع]

٧٢٣٣

فَأَوْلَاهُ أَحْسَنَ أَخْلَاقِكَ  
قَدْ بَرَحَ الْحُبُّ بِمُسْتَأْفِكَ  
فَإِنَّهُ آخِرُ عُشَاقِكَ  
لَا تَجْفَهُ وَأَرْعَ لَهُ حَقَّهُ

الباب الثالث في وصف الكتبة والكتاب وفيه فصول ثلاثة

أبو بكر محمد بن العباس [الوافر]

٨٠٣٠٣

وَشَمِسٌ مَا دَتَ إِلَّا أَرْتَنَا  
بِإِنَّ الشَّمْسَ مَطْلُعُهَا فُضُولٌ  
تَرِيدُ عَلَى السَّيْنَيْنَ سَنَا وَحُسْنَا  
كَارَقَتْ عَلَى الْعِشْتِ الشَّمُولُ

أحمد بن الحسين المعروف ببديم الزمان [البسيط]

٩٠٣٠٣

وَكَادَ يَحْكِيكَ صَوْبُ الْفَيْثِ اْمُسْكِيًّا  
لَوْكَانَ طَاقُ الْحَيَا يُمْطِرُ الْدَّهَبَا  
وَالْدَّهَرُ لَوْمَ يَخْنُ وَالشَّمْسُ لَوْنَطَقَتْ  
وَاللَّيْلُ لَوْمَ يَجْزُ وَالْبَحْرُ لَوْعَذَبَا

أبو الفتح علي بن محمد البستي [البسيط]

١٠٣٠٣

لَمَّا أَتَيْنِي كِتَابٌ مِنْكَ مُبْتَسِمٌ  
عَنْ كُلِّ فَضْلِي وَبِرَّغَيْرِ مَحْدُودٍ  
جَلَّتْ مَعَانِيْهِ فِي أَشَاءِ أَسْطُرِهِ  
آثَارَكَ الْيِضَّ فِي أَحْوَالِ السُّودِ

وله أيضاً [الوافر]

أَمَرَنِي اللَّهُ وَجْهَكَ كُلَّ يَوْمٍ  
لَا سَعَدَ بِالْأَمَانِ وَبِالْأَمَانِ  
فَوَجْهُكَ حِينَ أَنْظَرُهُ عَيْنَاً  
يُرِينِي الْسُّرُّ فِي وَجْهِ الرَّزْمَانِ

وله أيضاً [الكامل]

وَمَهْفَفِ غَنِيَّ الشَّمَائِلِ أَمْبَعَثَ  
قَلِيلِي مَحَاسِنُ وَجْهِهِ إِمْرَاعَاجَا  
دَرَّتِ الظِّيْعَةُ أَنَّ فَاحِمَ شَعْرِهِ  
لَيْلَ فَأَذَكَّ وَجَتَتِهِ سِرَاجَا

١ كذا في د: وفي ب: الغيب؛ ت: العيث. ٢ كذا في ت؛ وفي ب، ج، د: حكت. ٣ كذا في المخطوطات، ولعل الصواب هو: البش.

الباب الثالث في وصف الكتبة والكتاب وفيه فصول ثلاثة

أبو منصور محمد بن أحمد الكاتب<sup>١</sup> [الجزء الحفيظ]

١١٣٠٣

يَوْمَ دَجِنْ سَكَاوُهُ فَكَاخِيَّهُ مِرْدَاؤُهُ  
دَاؤِ بِالْقَهْوَةِ الْحُمَّا مَرْفَفِيَّهُ دَاؤُهُ  
أَشْبَهَ الْمَاءَ رَاحُهُ وَحَكَى الْرَّاحَ مَاوُهُ  
مَطَرَّتِنَا مَسْكَرَهُ حِينَ صَابَتْ سَمَاوُهُ  
لَا تُعَاتِبْ مَرْيَانَنَا إِنْ عَرَانَا جَفَاؤُهُ  
شِدَّهُ الدَّهَرِ تَقْضِي شَمَّ يَأْتِي رَخَاؤُهُ

صالح بن عبد القدوس الكاتب [الطویل]

١٢٣٠٣

وَمَا زَرْتُكُمْ عَمَدًا وَلِكِنَّ ذَا الْهَوَى إِلَى حَيْثُ هُوَيِّ الْفَقْسُ هُوَيِّ بِهِ الْرَّجُلُ

أبو محمد بن المهلبي [الوافر]

١٣٣٠٣

أَمَرَنِي اللَّهُ وَجْهَكَ كُلَّ يَوْمٍ  
صَبَاحًا لِلشَّيْنِ وَالسُّرُوفِ  
فَأَمْتَعَ نَاظِرِي بِصَحْنِكِيهِ  
وَأَقْرَى الْحَسَنَ فِي تِلْكَ السُّطُورِ

يزيد بن محمد المهلبي [الطویل]

١٤٣٠٣

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضِي سَجَيَاهُ كُلُّهَا كَهَى الْمَرَّ فَخَرَأَ أَنْ تُعَدَّ مَعَابِهَ

وله في خادم مطروب [الحفيظ]

يَا هِلَالًا يَسِدُو فَيَرِدَادُ شَوْقِي  
وَغَرَّاً لَا يَسُدُو فَيَرِدَادُ عِشْقِي  
مَرْعَكَمَ الْتَّاسُ أَنَّ رَقَّكَ مِلْكِي كَدَبَ الْتَّاسُ أَنَّ مَالِكَ رِيقِي

١ في سائر المخطوطات: أبو أحمد محمد بن منصور؛ والمثبت من اليتيمة، ج ٤، ص ٣٩٩.

الباب الثالث في وصف الكتبة والكتاب وفيه فصول ثلاثة

أبو الفضل بن العميد [المتقارب]

١٥٣٠٣

دَعَوْتُ لِلَّهِيْ وَدَعَوْتُ النَّدِيْ  
فَلَمَّا أَجَابَا دَعَوْتُ الْقَدَحَ  
وَقُلْتُ لِلَّا يَمَ شَرِخَ الشَّبَابِ  
إِلَيْ فَهُذَا أَوَانُ الْكَرْحَ  
إِذَا بَلَغَ الْكَرْهَ آمَالَهُ  
فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَهَا مُقْتَرِحٌ

أبو القاسم محمد بن محمد بن جير٢ [المتقارب]

١٦٣٠٣

أَرَى الْدَّهَرَ يَسِيْ ذُنُوبَ الْرِّجَالِ  
وَيَكْذِكُ ذَنَبِيْ وَذَنَبِيْ كَمَا لَيْ  
يَرُؤُونَ شَأْوِيْ وَمَا إِنْ لَهُمْ  
فَمَا لَهُمْ مِثْلَ عِرْضِهِمْ مُصْنُونٌ  
وَعِرْضُهُمْ مُسْبَاحٌ كَمَا لَيْ

أبو العباس أحمد بن اسحق [الكامل]

١٧٣٠٣

يَا وَحْيَ قَلْبِيْ لَا يَرَأُلِ يَرُوعُهُ  
مِمَّنْ يَعْزِلِيْهِ وَشُكُ فِرَاقِيْ  
وَلِيَتْ أَمْرَ مِسَاكَةِ الْآفَاقِ  
تَسْكَادُفُ الْبَلَدَانِ بِي فَكَائِنِي

أبو منصور أحمد بن محمد البجبي [الطويل]

١٨٣٠٣

إِذَا أَفْكَرَ الْإِنْسَانُ فِكْرَةَ عَكِيلٍ  
رَأَى عِيشَهُ مَعْنَى لِمَعْنَى مَمَاتِهِ  
إِذَا نَالَ يَوْمًا رَائِدًا فِي مَعَاشِهِ  
فَذَلِكَ يَوْمٌ نَاقِصٌ مِنْ حَيَاتِهِ

أبو القاسم الصاحب بن عباد [المتقارب]

١٩٣٠٣

١ كذا في ب، د؛ وفي ت: وصنوف. ٢ كذا في ت؛ وفي ب، ج، د: الفتح. ٣ ت: الحسين؛ ب، د: الحسن؛ والمثبت من  
البييمة، ٤: ٣٩٠.

الباب الثالث في وصف الكتبة والكتاب وفيه فضول ثلاثة

وَقَاتِلَةٌ لَمْ عَرَّتْكَ الْهُمُومُ وَأَمْرُكَ مُمْتَشِلٌ فِي الْأُمَمِ  
فَقُلْتُ دَعَيْنِي عَلَى غُصَّتِي بِقُدْرِ الْهُمُومِ تَكُونُ الْهَمُّ

أبو عبد الله الحسين بن حجاج الكاتب [الكامل]

٢٠٣٠٣

يَا صَاحِيَّ أَسْتَيقِنْتَا مِنْ رَقَدَةٍ تَرْزِي عَلَى عَقْلِ الْلَّيْبِ الْأَكِيسِ  
هَذِي الْجَحَرَةُ فِي السَّمَاءِ كَاهِنًا نَهَرُ تَدَقَّ فِي حَدِيقَةِ نَرْجِسِ  
وَأَمْرَى الْصَّبَابَ قَدْ غَلَسَتْ بِسَيِّهِا فَعَلَامَ شُرَبِي الْأَرَاحَ غَيْرَ مُغَلَّسِ

وله أيضاً [مزوء الكامل]

وَبَنَتْ بِنَا أَرْضُ الْعَرَاقِ فَمَا أَمْتَحَنَاهَا بِخَنَّهَةٍ  
غَيْرَ الْرَّحِيلِ كَفَى أَبِلَادَ بِرِحْلَةِ الْعَلَمَاءِ بِخَنَّهَةٍ

وله أيضاً [المتقارب]

وَأَسْكَرَنِي بَدْرُ تِمٍ غَدَتْ  
مِنَ الْوَرَدِ وَجَتَتْ فِي نِقَابٍ  
بِخَكْمِ الدَّنَانِ وَخَكْمِ الْجُفُونِ  
وَحَمْرِ الْحَيَا وَحَمْرِ الْرَّضَابِ

أبو منصور علي بن الفضل [الطويل]

٢١٣٠٣

تَخَاوَصَتِ الْحَسَنَاءُ عَنْ شَيْبِ لِمَيِّ  
وَلَمْ تَلْتَكُثْ إِلَيْهِ سِينِيَ الْقَلَائِلِ  
وَلِكِنَّهُ نُورُ الشَّهَى وَالْفَضَائِلِ  
وَلَيْسَ شَعَاعًا مَا رَأَى مِنْ يَيَاضِهِ

وله [الخفيف]

١ كذا في ب، د؛ وفي ت: عرفت. ٢ كذا في ب؛ وفي ت: غفت؛ د؛ علست. ٣ في سائر المخطوطات: شرب؛ والمثبت من اليتيمة، ٢٧٦. ٤ في سائر المخطوطات: تلتقت نحو؛ والمثبت من صدر، الديوان، ٢٢٨. ٥

الباب الثالث في وصف الكتبة والكتاب وفيه فضول ثلاثة

لَا تُظْنَنَّ يِهِ سُلُوْا وَإِنْ كُنْ  
ثُ عَرِيزٌ الدَّمْوَعُ بَيْنَ الْجَفُونَ  
إِنَّمَا يَصْنَعُ الدَّفِينُ مِنَ الدَّارَءِ  
وَسَهَلٌ مَا كَانَ عَيْرَ دَفِينٍ  
وَبُكَاءُ الْقُلُوبِ أَسْرَفُ فِي حُكْمِ  
سِ الْحَسِينِ مَنْ بُكَاءُ الْعَيْنِ<sup>١</sup>

أبو منصور بن عبدون الكاتب [الطويل]

أَكْتَابُ دِيَوَانِ الرَّسَائِلِ مَا لَكُمْ  
تَجْمَلُشُمُ بَلْ زَدْنُمُ فِي الْجَمْلِ  
وَأَرْجَأْقُوكُمْ لَا تَسْبِيْنِ رُسُومُهَا  
إِذَا مَا شَكَا إِلَيْنَا لِفَلَاسُ وَالصَّرَّ بَعْضُكُمْ  
وَقَفْشُمْ عَلَى بَابِ الْأَمْيَرِ كَأَنَّكُمْ

وله في غلام أَبْجِي ميلع [الخفيف]

بِكَابِي مَنْ لِسَانُهُ أَبْجِيٌّ  
وَأَرَى وَجْهَهُ فَصِيحَةُ الْكَلَامِ<sup>٢</sup>

أبو علي بن عبد الله الساجي الكاتب [السريع]

لَا تَأْسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى فَائِتٍ  
وَعِنْدَكَ إِلْسَلَامُ وَالْعَافِيَةُ  
فَإِنْ فَاتَ شَيْءٌ كُثُرَ شَتَاقُهُ  
فَفِيهِمَا مِنْ فَائِتٍ كَافِيَةٌ<sup>٣</sup>

محمد بن منصور البني [الكامل]

كَمْ فِيْكَ مِنْ رَشَا أَغْنَ كَانَّا  
حُلْقَثَ مَفَاصِلُهُ بِغَيْرِ عِظَامٍ  
كَمْ قَدْ عَلَّتَ يَدَ النَّدِيمِ بِقَهْوَةٍ  
شَهَدَتْ بِأَنَّ الْفَكَلَّ مِنْ إِكْلَامٍ<sup>٤</sup>

١ـ كذا في د؛ وفي ب: غير. ٢ـ كذا في ب، د؛ والأبيات ساقطة في ت. ٣ـ ب، د؛ لما منحتها: ج؛ لما نسخته: والمثبت تصويب يقتضيه السياق. ٤ـ كذا في ت؛ وفي ب، ج: يقولون؛ د: يقولون؛ وهو في معلقة امرئ القيس: يقولون. ٥ـ كذا في ب، د؛ والبيت ساقط في ت. ٦ـ كذا في ب، د؛ والبيت ساقط في ت.

الباب الثالث في وصف الكتابة والكتاب وفيه فصول ثلاثة

وله أيضاً [الكامل]

دَانَتْ عَلَى قَوْمٍ سَمَاوِكَ بِالنَّكَدِي  
وَنَدَى تَرَدَّدُ لَحْتَ عَيْمَ جَامِدِ  
وَأَنَا أَلَّذِي إِنْ جُدْتَ لِي أَوْ لَمْ يَجِدْ  
لَكَ فِي الْشَّاءِ عَلَى طَرِيقٍ وَاحِدٍ

وله يخاطب بعض الأجلاء [الكامل]

حَمْلُ الْرَّئَاسَةِ مَا عِلْتُ ثَقِيلُ  
مَا رَأَلْتِ الْأَيَّامُ فِي سُلْطَانِهِ  
هِيَ مَا سَمِعْتُ وَمَا رَأَيْتُ سَيِّلًا  
لَا تَعْكَلِ بِإِشْغَلِ إِنَّكَ إِنَّمَا  
مَرْجُوُ الْحَاجَاتِ وَالْكَامُولُ<sup>١</sup>  
وَإِذَا فَرَغْتَ وَلَا فَرَغْتَ فَغِيرُكَ أَلَا

وله يهجو بخيلاً [مزوء الكامل]

الله صور كمه لما برأه فكأندعة  
من تسعة في تسعة وثلاثة في أربعة

وأشعار هؤلاء الفضلاء كثيرة وفضائلهم غزيرة والاختصار يحسن في الباب ٢٥٣٣  
لأن المقصود به غير ذلك.

١ كذا في ب، د؛ وفي ت: تردد. ٢ كذا في ب، د؛ والأبيات الأربع الأخيرة ساقطة في ت.

## الباب الرابع في ذكر الجھال الذين ترزاوا برئي الكتاب وليسوا منهم وفيه فصول ثلاثة

### الفصل الأول في الأشعار التي قيلت فيهم قدماً وحديثاً

قال بعض الشعراء [الوافر]

١٤١٤

لَيْلَدُ فِي الْكِتَابَةِ يَدْعِيهَا  
كَدْعَوْيَ الْبَرْبَرِ فِي زِيَادِ  
فَدْعَ عَنْكَ الْكِتَابَةَ لَسْتُ مِنْهَا  
وَلَوْ سَوَّدَتْ رَجْهَكَ بِالْمَدَادِ  
وَدِيَوْانُ الْخَرَاجِ بِحَذْفِ ضَادِ  
وَدِيَوْانُ الْضَّيَاعِ بِقَطْعِ حِيمِ

٢٠١٤

وقال آخر [الكامل]

تَعَسَ الرَّمَانُ قَدَّأَتِي بِحَكَابِ  
وَمَا رُسُومُ الظَّرفِ وَالآدَابِ  
وَأَتَيْتُ بِكِتابِ لَوْ أَبْسَطَتْ يَدِي  
فِيهِمْ رَدَدُهُمْ إِلَى الْكِتابِ  
جَيْلُ مِنَ الْأَعْكَامِ إِلَّا أَنَّهُمْ  
مِنْ بَيْنَهَا خَلِقُوا بِلَا أَذَابِ  
صُورَ تُرَى لِكَنْ إِذَا فَتَشَهُمْ  
ظَفَرَتْ يَمِينُكَ مِنْهُمْ سَرَابِ  
لَا تَقْرَرُ بِرُوَاهِمْ وَجُسُونِهِمْ

٣٤١٤

وقال آخر [المتقارب]

يَدْلُلُ عَلَى أَنَّهُ كَاتِبٌ  
سَوَادٌ بِأَظْفَارِهِ لَا زِبُ  
فَإِنْ كَانَ هُذَا دَلِيلًا لَهُ  
فَإِنْ كَانَ كَاٰفًا كَاتِبٌ حَاسِبٌ

الباب الرابع في ذكر الجهال الذين تزينا بربني الكتاب وليسوا منهم وفيه فصول ثلاثة

وقال آخر [المتقارب]

٤،١،٤

كَانَا جَمِيعًا لَهُ حَاشِيَةٌ  
وَيُرْتَهِي بِسَعْلَتِهِ الْمَاشِيَةُ  
كَانَا قَدِيمًا مِنَ الْبَادِيَةِ  
تَوَلَّ الرِّئَاسَةَ مِنْ يَيْتَنَا  
يَيْتَيْهُ عَلَيْنَا بِأَثْوَابِهِ  
وَيُوَهِّمُنَا أَنَّهُ كَاتِبٌ

٥،١،٤

وقال آخر [الواfir]

إِذَا وَلَيَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَمُؤْسِىٍ  
فَأَمَرُ الْأَنْسَى لَيْسَ بِمُسْتَقِيمٍ  
فَدِيْوَانُ الْضَّيَاعِ بِفَكْتَهُ ضَادٍ  
وَدِيْوَانُ الْخَرَاجِ بِحَذْفِ جِينٍ

٦،١،٤

وقال آخر في كاتب أبخر [الرمل]

قُلْ لِمَنْ أَصْنَعَ فِي الدِّينِ  
وَإِنْ يَسْتَوِي الْخَرَاجُ  
سُدَّعَنَا فَمَكَ الْأَبْ  
خَرَ وَأَسْكَنَ فَالْخَرَاجًا

٧،١،٤

وقال آخر في ريفي تولى في خدمة [الواfir]

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا  
وَرَأَدَ النَّاسُ فِي الشَّطَرِ بَعْدًا  
وَوَلَّتِ عَنْكُمُ الْآذَابُ طُرًّا  
وَرَأَدَ الدَّهَرُ فِي الْكُتُبِ نَفْلًا

٨،١،٤

وقال آخر في جاهل [البسيط]

يَا كَاتِبًا يَقْرَأُ الْعُوَانَ فِي سَةٍ  
وَالْفَصْلَ مِنْ بَعْدِ أَمَّا بَعْدِ فِي حِينَ  
جَهَلًا وَلَا فَرْقَ مِنْ عَمْرٍ إِلَى عُمَرَ  
لَا يَعْرِفُ الْفَرْقَ مِنْ السَّيِّنِ وَالشَّيْنِ

١ في سائر المخطوطات: ابن عباس بن موسى؛ والمثبت من الواfir، ١١٥٧.

الباب الرابع في ذكر الجهال الذين تزينا بربني الكتاب وليسوا منهم وفيه فصول ثلاثة

٩٠١٤

وقال آخر [البسيط]

مَا اَنْفَرْقَ بَيْنَ اَسْمِ مَوْجُودٍ وَمَعْنَاهُ  
وَلِمَ اِنْ خَطَ حَرْفًا اُتَّهَمَاهُ  
هُوَ الْغَنِيُّ وَلَا يُغْنِي لِسَانُهُ  
فَالْكَلَامُ وَالشَّاءُ جَهَلًا عَنْهُ شَرَحُ

١٠١٤

وقال آخر في جاهل [المتقارب]

أَطَالَ فَأَثَابَ أَقْلَامَهُ  
وَجَدَ لَمَّا يَكُنْ بِالصَّوَابِ  
سَخِيفُ الْمَعَانِي ثَقِيلُ الْكَلَامِ  
وَلَمْ يَأْتِ فِي الْقَوْلِ مُسْتَمِعًا  
قَدْ أَخْطَأَ الْحُظْطَ الْأَرْبَعَ  
لَا يَعْرِفُ الْبَذَّةَ وَلَا الْمَقْطَعَ

١١٠٤

وقال آخر في كاتب جيش [الطويل]

وَكَاتِبُ جَيْشٍ لَيْسَ يَدْرِي مَنْ الْأَبَاعِيرُ  
يُبَنِّدُ هَذَا الْبَعْرَ فِي أَسْتِ الْأَبَاعِيرِ  
وَلَيْسَ بِذِي عَقْلٍ وَلَيْسَ بِكَاتِبٍ  
فَلَيْسَ بِذِي شَاعِرٍ

١٢٠٤

وقال آخر في جاهل صاغ حل دواته ذهباً [البسيط]

يَا كَاتِبًا كَاسِئًا مِنْ كُلِّ مَنْفَصَةٍ  
وَعَارِيًّا مِنْ جَمِيعِ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ<sup>١</sup>  
هَكُلْ تَشَعَّنَكَ دَوَاهُ حَلْمُكَ ذَهَبٌ  
وَلَيْسَ طَبْعُكَ فِي الْتَّهِيزِ مِنْ ذَهَبٍ

## الفصل الثاني وهو المضحك في عامية الفاظهم وجهمهم

١٠٢٤

ولو أخذت أستقصي وصفهم وما ييدو من عوراتهم وفضائحهم في مكتاباتهم  
ورسائلهم لخرجت عن قصد الاختصار وُنُسبت إلى الإسهاب والإكثار

١ كذا في ب، د؛ والبيتان ساقطتان في ت. ٢ في سائر المخطوطات: والآداب.

ولكتنى أذكر مما رأيته لمعة لطيفة يظهر بها الفرق بين الهمم الخسيسة والهمم النفيسة.<sup>١</sup>

فمن رأيته من أولاد الأقباط الذين تقلعوا في درجات الرذائل وخدموا<sup>٢</sup> في مزابل الخدم بل في خدم المزابل صبي<sup>٣</sup> وقعت له كائنة حصل بها تحت يده مال جزيل صافع بعضه وأسلم استبقاءً لبقيته ثم بذل منه جملةً لمن كان يلي أمر الديوان<sup>٤</sup> حتى خدم في ديوان يخدم فيه أمثال الناس.

فددىده ونهب وصافع ووهب وتقطيس وصار يشابه المسلمين في الرزي وظهور كلمة الإسلام ويتواجد عند سماع القرآن يخضم ويتدلل عند ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>٥</sup> ويعلن<sup>٦</sup> بأنه كاتب على الحقيقة وسالك في الكتابة أحسن طريقة ويناطي السعداء في البناء ويميل إلى مماثلة الأمثال<sup>٧</sup> والأفضل ويعاني شراء الملاليك الترك ويسأل عن أجناسهم فلم يحفظ سوى التبغفاق إلا أنه إذا تلفظ به لا يقول إلا الشفشاق فاتتفق اجتماعي به يوماً وتجارينا الحديث وخرجنا إلى ذكر الرقيق وأجناسه وذكرنا الترك فقال ليس فيهم أحسن من جنس الشفشاق فجحب من كلامه وقصدت تنبئيه على صحة اللفظ فقلت له صدقت إن التبغفاق جنس حسن لكن غيره أحسن منه وثنيت له الكلمة لعلم أنه غلط فيها فقال لا يقول سيدينا هذا ما ثم مثل الشفشاق، وأعادها بعينها مراراً فعلمت أن جهله طبيعي لا يقبل التغير ولا ينتقل عمماً طبع عليه من طباع الحمير.

وكتب بعض الكتاب إلى القاضي الفاضل كتاباً يذكر فيه أنه ملازم على وظيفة الدعاة وكتب الوظيفة بالضاد ولم ينقطعها. فقال القاضي الفاضل ما حل هذه الوصيفة تكبر فقيل له ما معنى هذا؟ فقال فلان له مدة ثلاثين سنة يكتب لي أنه ملازم على وصيفة وفي ثلاثين سنة لا تكبر الوصيفة وتأتي بالأولاد.

١ كذا في ت: وفي ب، ج، د زبادة: يكون على سبيل الظرف عند ذوي الأدب والملاحم المضحكة لأهل الأرب. ٢ في سائر المخطوطات: خدم. ٣ كذا في ت: وفي ب، د: حتى. ٤ كذا في ت: وفي ب، د زبادة: ورضي الاتتفاق به والقبول منه. ٥ كذا في ت: والجملة من (ويتواجد) ساقطة في ب، ج، د. ٦ كذا في ت: وفي ب، د: وصار بقعة الأقباط يعلن. ٧ كذا في ت: وفي ب، د زبادة: ومكاثرة الأكبر. ٨ (لا) ساقطة في سائر المخطوطات؛ والمثبت زبادة يقتضيها السياق.

وكتب إلى بعض الكتاب كتاباً غلط فيه في عدة مواضع منها أنه كتب أنه مواطن بالضاد والصحيح بالظاء وأنه مصروف بسلامتي بالصاد يعني أنه مسروor وفترض إلى لومي على قلة السعي في تحصيل الدنيا واستغراقه عن ذلك بالعلم وقال قد قال الله تعالى كونوا وأنا معكم، وما قال الله ذلك.

وتحدث معي شخص من هؤلاء الجهال في أمر فسألته عن غرضه فيه فقال قال الله تعالى كل البقل من حيث يوئتي به ولا تسأل عن المبقلة فضحك وقلت يا رجل اتق الله ولا تنسب هذا القول إلى الله تعالى فقال لا تأخذ على فإني أردت أن أقول قال النبي فأنسنيت فازدت منه تعجباً وقلت والله ما هذا قول النبي وما هذا إلا قول بعض الشعراء فلا تُعد إلى مثل هذا فإنه كفر فقال أنا استغفر الله من هذا.

وكتب شخص من الكتاب إلى مشد الديوان وأما فلان لم يفعل ما فعله باختياره وإنما أخصب على ذلك، يعني غصب.

لا إله إلا الله رأيت في كتاب من ابن النوري ناظر دمياط إلى الأمير جمال الدين أيدغري<sup>١</sup> العزيزني رحمه الله في سنة ستين وسبعينة وقد كتب إليه يساعده ويسترضيه كلاماً من جملته ورأى المملوك في كلام مولانا الجعواراً عظيماً يعني انزعاجاً<sup>٢</sup>.

وبلغني أن بعض الأقباط صار صاحب ديوان بغرة فكتب كتاباً عنه وعن النائب بها المملوكان يقبلان الأرض وينهيان أنهمان أقمان يومان يتضمنان المرشان فقال له كاتب نصراني زادك الله سعادهً ما وقع للقاضي الفاضل من هذه الكلمات واحدة فقال صدق هذه الأشياء فتوح.

وأنزل بعض الأقباط وضلّع عمّامته وتطليس فصار يعذ نفسه من الكتاب فانقطع يوماً من الديوان فكتب إليه المشد يسأل عن سبب انقطاعه فورد جوابه يعتذر أنه ما انقطع المملوك إلا لأنّه أصابته حيضة يعني هيضة.

<sup>١</sup> في سائر المخطوطات: أيدغري؛ والصواب ما أثبتناه من الذيل، ١:٤٦. <sup>٢</sup> كما في بـ، دـ؛ والفقرة كلها ساقطة في تـ.

وكتب قبطي آخر وقد أسلم وتطليس وصار يدعى بالقاضي إلى ناظر الديوان ١٠٢٤  
يعذر من تأخره ويقول ما عاقي إلّا خصم الجوزة، يعني الزوجة.

ومرض قبطي من الذين أسلموا وتطليسوا فكتب إليه صديق له يسأل عن حاله ١١٢٤  
فأجابه الله إلهي أصبحت اليوم وأنا ناهق، أي ناقه. وقد قال الشاعر في مثله

[السرير]

وَلِي صَدِيقٌ حَتَّهُ عَائِدًا وَوِدُّهُ لِي أَبَدًا صَادِقٌ  
فُلِّتْ لَهُ أَنْتَ إِذَا نَاقَهُ فَقَالَ لَا بَلْ إِنِّي نَاهُؤُ

وكتب هذا الشخص المذكور إلى صديقه المذكور يطلب منه نبيداً عتيقاً وقال والله  
لقد طلبته من كل أحد فما وجدته لهذا طلبته منك مع أي والله ما طلبته إلّا منك  
فلا ترد رسولي إلّا به.<sup>١</sup>

وسافر قبطي على حمار فرض في الطريق وتشوش حماره وبلغ خبره إلى صاحب  
له فكتب إليه يسأل عنه وعن حماره فأجابه يا أخي بعد فراقي لك مرضت أنا والمار  
إلّا أنّ الحمار أصلح مني بكثير.

وأخبرني أحد الأصحاب الفضلاء أنه مرض أياماً وتعافي بناءً عليه صديق له قبطي  
قد أسلم وتطليس ليهشه بالعافية فقتل والله لما سمعت بعافتك كأي ملك الدنيا  
بأربع حوافيتها، أراد التيس يقول بأربع حدافيتها. أراد ما جاء في الحديث من أصبح  
معافياً في بيته آمناً في سرته عنده قوت يومه فكانها ملك الدنيا بحذافيتها. قال الحاكي  
فضحكت من ذلك وذكرت الحديث لقبطي آخر فقال ما هو إلّا أراد أن يقول بحذافيتها  
فغاظ. قال فوجدت الثاني أتيس من الأول.

وأخبرني رجل فقيه أديب عن واحد صار من الرؤساء أنه جرى في مجلسه ذكر  
بعض الشعراء فقال لا تطيلوا والله ما هو عندي إلّا سُجُّaban، بضم السين فحكت

<sup>١</sup> كذا في بـ دـ؛ والنقرة ساقطة في تـ.

الباب الرابع في ذكر الجهال الذين تزفوا بربن الكتاب وليسوا منهم وفيه فصول ثلاثة

القضية رئيس آخر من جنسه فقال ما أظنه يعني عنه أنه سجان وإنما سها، فغلط الأول الثاني. والمراد سجان بفتح السين قلت وبه يضرب المثل في الفصاحة.

وقف هذا الرئيس على كتاب فيه صفات الخمر ومن جملة الصفات الخندريس ١٥٠٢٤ فوق أنها بالحاء المهملة وبقيت في ذهنه وكان قد بعث يطلب مني بمحواره فرجع الرسول فأخبره سرًّا أنه في بيته يشرب فأراد الرئيس أن يظهر فصاحته فقال للجاءة الحاضرين طلبنا المنجم فقيل لنا إنه في بيته يشرب الخندريس فضحك الجماعة من جهله وهو تيس لا يدري بذلك.

وعزم بعض الأقباط الذين أسلموا وتطليسواعلى سفر فقال الجماعة عنده ما هذا ١٦٠٢٤ الشهر؟ فقالوا صفر قال قد عزمت على الصفر في صفر ما هذا مليم؟ فقال التيوس الحاضرون والله مليم هذا مطابق مجالس أي بجانس.

وأجمع جاهلان من أهل الريف وكانا حراشين فتطليسوا ودخلوا إلى المدينة وخدما ١٧٠٢٤ في بعض الخدم جاءهما في أول السنة منجم ومعه تقويم فنظر فيه أحدهما فأى في أيام الشهور بالرومية نisan فصحفuron بالتاء فقال للمنجم من هو نisan فقال له المولى وأخوه يا حمير هل يعني على أحد أن نisan اسم شهر من شهور الروم؟

وحضر بعض الأقباط الذين أسلموا ودعوا بالقضاء دعوة فأمعن في الأكل وأخذ ١٨٠٢٤ يعتذر ويطالب الجماعة وأراد يقول أنا على الأكل نهم فقال أنا على الأكل نه<sup>١</sup> فضحك الحاضرون.<sup>٢</sup>

ونظر قبطي في كتاب فوجد فيه حكاية عن فارس أنه ركب فرسه واستطرد في ١٩٠٢٤ الميدان فتحفَّت عليه ووقع له أنها بالشين وبالباء فقال للحاضرين والله ما اللغة إلا واسعة فقالوا وكيف قال ما معنى قوله ركب فرسه واستطرد في الميدان؟ فضحك الحاضرون من غلطه وقالوا قد تتحفَّ عليك إنما هو استطرد تحجل.

١ في سائر المخطوطات: نه؛ ولعل الصواب ما أثبتناه. ٢ كذا في بـ، دـ؛ والفرقـة ساقطة في تـ.

الباب الرابع في ذكر الجهال الذين تزيقاً بريني الكتاب وليسوا منهم وفيه فصول ثلاثة

٢٠٠٤ ووعَدَ بعضهم رجلاً جليل القدر فأراد أن يقول يا من يعز علينا أن نقارنه فقال له  
يا من يهون علينا أن نقارنه فقال له الموضع فأسألي أنا. فشكّره ودعاه.<sup>١</sup>  
٢٠٠٤ وأراد بعض الجهال أن يقول رئيس إذا صحي منك الود فالمال هيئ فقال إذا صحي  
منك المال فالود هيئ فقال له الرئيس أحسنت.

٢٠٠٤ وسأله جليل القدر عاميًّا عن حاله ومن يجتمع عنده وماذا يصنع فقال أمّا أنا  
فيه وأمّا من يجتمع عندي فقلان وفلان وأمّا الذي نضعه فهو الله ما لنا شغل إلا ذكر  
من أحاسن الولي فقال لا جرائم الله عني خيراً فضرب العامي يده على فمه وقال والله  
ما أردت إلا محاسن الولي فسبقني لسانى ففضحك منه.

٢٠٠٤ وتحدث معي إنسان جاهل فأراد أن يقول العادة طبع الخامس فقال الخامس طبع  
العادة. وسألت بعض الجهال عن اقطاعه عني فقال والله ما كنت إلا منحرف للجاز،  
يعني المزاج، وشربت خلطاً استفرغت به دواء، أي دواء استفرغت به خلطاً.<sup>٢</sup>  
٢٠٠٤ وقال جاهل منهم اشتريت جارية تضرب بالموسيقى فاعتقدت التيس أنّ الموسيقى  
آلة تُضرب بها مثل العود وغيره.

٢٠٠٤ وقرأ جاهل منهم في ديوان المتبنّي [الواfir]

فُوَادُ مَا يُسْلِيَهُ الْمَدَامُ

فتحّف عليه فقال

فَوَادُ مَا يُسْلِيَهُ الْمَدَامُ

فضحك الناس منه وقرأ [البسيط]

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِنْ قَلْبِهِ يَشْمُ<sup>٣</sup>

١ كذا في بـ دـ؛ والفرقـة ساقـطة في تـ. ٢ كذا في بـ دـ؛ والفرقـة ساقـطة في تـ. ٣ الصواب هو (من قلبه شيء).

وقالوا له تصلح أن تكون راوية للمنتني.

وفتح بعض الأقباط الجهمان كتاباً فنظر أسطره قد استغرقت الورق من أول الصفحة  
إلى آخرها فأراد أن يقول ما لهذا الكتاب هامش فقال ما لهذا الكتاب هاشم فضحك  
الناس من غلطه. والهامش هو الياض الحيط بالسطور.<sup>١</sup>

٢٧٠٢٤ وسمع ريني قد تعلم الكتابة وخدم في الديوان قول الشاعر [الطويل]

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا آَسِنَةُ مَرِبْكَ فَلَا رَأَى لِلْمُضْطَرِّ إِلَّا رُكُوبًا

فتخيل البيت في ذهنه وصار إذا قعد في الديوان يشتاهي أن يتمثل بالشعر فيقول إذا  
لم يكن للإنسان في الدنيا مركب إلا الآسنة فوله يا فلان ما للمضرر المسكين غير  
ركوبها. فينحني الشعر على قوله ولا يبقى شعراً ولا كلاماً.

٢٨٠٢٤ وهذا هو الذي لماً ضمن أبوه جهات الدولة فيما سلف وقد في الديوان وأجمع  
الناس حوله أدخل يده في طوقة وسمع إبطه ثم شم يده وقال أقوه. وصدق والله  
أقوه له وعليه. ثم أدخل يده في جيده فاخرج ورقه قطع فضة سواد فأخذ منها قطعة  
ألقاها في فمه وجعل يحسها بأمسنانه ليعلم ورنها على عادة العوام الساقطين ثم أخرجها  
مبلاولة فدفعها إلى أحد المقدمين بين يديه وقال اشتري لي بهذه القطعة دواء للصنان  
فبحب الناس من ولاية من هذا جهله في القول والفعل أمور البلاد والعباد وتدير  
الأموال وتمشية الأشغال.

٢٩٠٢٤ وقال ريني من سواد العراق<sup>٢</sup> لفقيه يا سيدنا إذا نزلت إلى النهر أغسل يكون  
وجهي إلى القبلة حتى يصح وضوئي أم إلى غيرها فقال يكون وجهك إلى  
ثيابك التي نزعتها يكلا تسرق. فتوهم الجاهل أن التوجه إلى القبلة شرط في صحة  
الاغتسال.

٣٠٠٢٤ وليس بعض الأرياف ثياباً تشبه ثياب الناس ودخل الجامع فرأى شيخاً عالماً وحوله  
ناس يسألونه ويستفتونه فتقدّم إليه ريني وقال ما يقول سيدنا في النبي عليه السلام

١ كذا في ت: والجملة ساقطة في ب، د. ٢ كذا في ت: وفي ب، د: العريان.

الباب الرابع في ذكر الجهال الذين تزيفوا بربن الكتاب وليسوا منهم وفيه فصول ثلاثة

وفي هارون الرشيد أينهم أقدم؟ فضحك الناس منه وقال له الشيخ أنت من أهل الريف؟ قال نعم قال يا هذا لواشتغلت بمحثك وزرعيك كان أصلح لك من الاشتغال بما لا يعنيك فإنك أضحك الناس عليك.

٢١٠٢٤ وقال إنسان لرببي بلغني أن أباك مريض وقد ورمته قدهما فقال أبي والله يا سيّدنا قدّمت ورماه قال فله ولد غيرك؟ قال لا قال فإذاً ما أعقب.

٢٢٠٢٤ ولا عجب من جهل هؤلاء وما يظهر من عوراتهم فلقد أخبرني عدل فقيه أثق بنقله عن قاضي حصن زياد بالشرق أنه لقيه وقال قد عمل في شاعر بيتنين فقد استحسنهما وهما [كلامها من الطويل]

لِحَسْنِ زِيَادٍ قَاضِيًّا طُولَ لَيْلَهُ يُجَامِعُ فِي دَيْرٍ وَيَشَرِّبُ فِي دَنْ  
وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يَجْعَلُوهُ بِرَعِيَّهِمْ لِمَالِ الْيَثَامَى حَافِظًا وَهُوَ شَافِرٌ<sup>٢</sup>

ثم قال بالله عليك ما هو مليح؟ ولا يشعر بما فيه من المهجو ولا القذف.  
وحيكي<sup>٣</sup> أن بعض قضاة الشّرع قد يبعاً بلغ الوزير عنه كلام قبيح فعاتبه فأراد أن يقول هذه رقبة الملوك بين يدي مولا ناقفال هذه رقبة مولا نابن يدي الملوك إن رسم بالدّرة فبسم الله فضحك منه وتركته.

٢٤٠٢٤ وحضر بعض القضاة تركّة فيها دواب لضبطها بقلمه ومعه جماعة فقالوا يكتب سيّدنا مهراً فقال هو ذكر أمّي؟ فضحك من جهله الحاضرون.

٢٥٠٢٤ ومن غريب ما جرى أن السلطان الشهيد الملك العادل قدس الله روحه لما ولى صدر الدين شيخ الشيوخ قاضي قضاة الشّرع عرض قضية البلاد بفتحه أن قاضي بعض البلاد جاهل إلى الغاية فعزّله بن يصلح للحكم فلما جلس السلطان الملك العادل جلوساً عاتّا حضر مجلسه القضاة والفقهاء والشهود وغيرهم جاء القاضي المصروف بجهله ووقف للسلطان وقال يا خوند أنا قاضٍ في هذا المكان منذ سنين فسل شيخ

١ كذا في بـ دـ، والفقرة ساقطة في تـ. ٢ كذا في بـ، وفي دـ: شافعيـ، ولعل الصواب هو (رافضيـ). ٣ كذا في بـ، دـ، والنـصـ من (أثقـ بـ نقلـ) ساقطـ في تـ.

الباب الرابع في ذكر الجهال الذين تزينا بربى الكتاب وليسوا منهم وفيه فصول ثلاثة

الشيخ بأي جنحة صرفي فنظر السلطان إلى الشيخ وجعل يسأل عن قضيته فقال ذكر لي أنه قليل الفقه فأردت أن يختلي للأشغال ويتدبر ما قد نسيه. فاحسن العبرة عن جهله فقال القاضي يا مولانا إن أعدائي نقلوا عني إلى الشيخ أنتي جاهل وهذا مجلس السلطان وفيه الفقهاء يسألني عمّا أراد فقال السلطان للشيخ اسئلته مسألة فقال القاضي من يزف المرأة؟ قال ابنتها فبسّم الشيخ والفقهاء علم السلطان أنه أخطأ فقال أستعفر الله إنما يزوجها ابنتها إذا كانت بكرة فضحك السلطان وقال إذا كانت بكرة من أين يكون لها ولد؟ وقام قدس الله روحه وهو ضاحك من جهله متعجب من عقله.

وسدّ هذا الباب في حق القضاة أولى لئلا يتبسط عذر الأقاط وأهل الريف ٣٦٠٢٤ فالجهل في الناس كثير وهو في هؤلاء أكثر. أخبرني المولى جمال الدين أبو الحسين الجزار أنه مدح قاضي ثغر دمياط بقصيدة دائمة وأن الحاضرين استحبوا معانيها وبديعها وألفاظها وطربوا منها فقال القاضي الممدوح والله إن فيها لشيء أحسن مما قلت وأعجب فأصغوا إليه وقالوا له علم سيدينا أوسع وتأمله وتخيله أصوب فما هو الذي استحسن سيدنا فقال هذه القصيدة كلها على حرف الدال وأخر كل بيت منها دال. وتخيل الأباء أن استعمال القوافي لم يقع إلا في هذه القصيدة بعينها لا غير.<sup>١</sup>

### الفصل الثالث وبمعناه سُبي الكتاب فيما ينبغي سلوكه بهم ومعهم من أخذ الأموال التي اختزلوها من أموال المسلمين

فأقول وبالله التوفيق من المعلوم اليت أن أحد هؤلاء الموصوفين بما تقدم إذا خدم ١٥٣٤ وليس له مال سوى ما قرر له على خدمته وكان المقرر له على الخدمة لا يقوم بخلافه ودابته فلم يمض عليه إلا برهة من الزمان وقد ظهر له من الأموال والأملاك والنعم ما لا يقتضيه المقرر له على خدمته عُل بالقطع واليقين لا بالظن والتحمين أنه سرق مال

١ كذا في ب، د؛ والنص من (أخبرني المولى جمال الدين) ساقط في ت. ٢ كذا في ت؛ وفي ب، د زيادة: النصارى.

مولاه وحان فيما تولاه لا سيما إن كان الخدوم سلطان بلاد وملك عباد وكانت خدمته في الخارج أو في أمرٍ يعم كالزكاة والمواريث فإنها خدم تجمع الحكم على الأحياء والأموات فيكون قد أخذ من هذا شيئاً ومن هذا شيئاً واشترى من معامليه بغير اختيارهم وباع عليهم بغير رضاهم أو الجاهم إلى بيع موجودهم في أداء ما عليهم في وقت رخصه وكساده وأقام من اشتراه واذرمه إلى حين غلائه ونفاقه وتكرر أخذه وخيانته وطالت مدة حتى نسي من أعطاه وأستمر على خطاه فعل هذه الحالة يجب أن يقطع عليه طريق آماله وأخذ جميع أمواله والدليل على ذلك إجماع المسلمين كافة على أنه من أخذ مالاً بغير حق من أناس مقرقين وجهم لهم لطول المدة وكثرة العدة بحيث تذرع صرف ما أخذه منهم إليهم وجب حمله إلى بيت مال المسلمين بأسره ولا أعلم أحداً من العلماء خالف في ذلك وسلك غيره من المسالك.

وقد روى أبو حميد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلاً من بني أسد يقال له ابن اللثيبة على الصدقة فاما قدم قال هذا لكم وهذا أهدى إلي. فرقى النبي صلى الله عليه وسلم المنبر وقال ما بال العامل نبعه إلى بعض الأعمال فيقول هذا لكم وهذا أهدى إلي ألا جلس في بيت أبيه وأمه ينظر أيه شيء أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منها شيئاً إلا جاء يوم القيمة يحمله على رقبته.

وقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى داراً عالية البناء فقاتل من هذه فقيل لفلان لرجل استعمله فقاتل لي مع كل خائن أمينان الماء والطين أبٌ الدرام الآن تمدّ أعناقها. وأمر بها ليت المال وساطره في ماله. و قوله تمدّ أعناقها يعني أن الخائن يحسن الله له أن يبني ويعمّر فيفترض بذلك فيطلع عليه من له الأمر فيأخذ منه ليت مال المسلمين. وقد روى أن عمر رضي الله عنه شاطر عمرو بن العاص ماله حتى أخذ منه أحد حُمَيْة.

وروي أنه بعث إلى أبي عبيدة بن الجراح وكان مجرداً مع خالد بن الوليد في غزة إله بلغني أن خالداً أثرى بهذا العمل فعند وقوفك على كابي<sup>١</sup> مد يدك إلى رأسه فخذ

١ ينتهي هنا نص المخطوطة ج.

شطر عمامته ثم شاطره ماله فورد الكتاب إلى أبي عبيدة ووقف عليه بعض الحاضرين فرأى خالد التغير في وجه أبي عبيدة والحاضرين فقال ما شانكم؟ قالوا ورد كتاب أمير المؤمنين بكتابه فلما قرأه أدركه السمع والطاعة فعل يا أبو عبيدة ما أمرك به أمير المؤمنين ففعل وشاطره ماله. فهذا فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بخالد بن الوليد الذي قال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه سيف الله المسلط.<sup>١</sup>

وكتب أبو المختار يزيد بن قيس بن يزيد بن عمرو بن خويلد الصعق النيري الشاعر<sup>٢،٣،٤</sup> إلى عمر بن الخطاب بهذه الأيات وهي [الطويل]

أَلْبَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِسَاكَةً  
فَأَكَّثَتْ أَمِينُ اللَّهِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ  
وَأَرْسَلَ إِلَى التَّعْمَانَ وَأَعْمَّ حَسَابَهُ  
وَلَا تَكْدُعَنَّ الْثَّاكِفَيْنَ كَلِيمَهَا  
وَمَا عَكَاصَهُ مِنْهَا بِصَفَرٍ عِيَابَهُ  
وَلَا أَبْنَ عَلَابَهُ مِنْ سُرَّاهَ بَنِي نَصَرِ  
فَإِنَّا لَهُمْ مَالٌ وَلَسْنًا بَذِي وَفْرَ  
وَمَا لَيْسَ يُلْفَى مِنْ قَرَامٍ وَمِنْ سِرَّ  
وَمِنْ رِيَطَةٍ مَظْوِيَّةٍ فِي صِيَانَهَا  
إِذَا الثَّالِجُ الْهَنْدِيُّ جَاءَ بِفَكَارَةٍ  
فَكُدُونَكَ مَالُ اللَّهِ لَا شَرَكَهُ  
وَلَا تَكْدُعَوْيَّةٌ بِالشَّهَادَةِ إِلَيْهِ

فلما قرأ عمر الأيات قال إنما قد أغفينا<sup>٥</sup> من الشهادة ونأخذ منهم نصف أموالهم. وكان من قاسمه من عماله وأخذ منه نصف ماله الحاج بن عتيق الفقي وكان على الفرات ومساجع بن مسعود السلمي وهو صهر بني غزوan كانت عنده بنت عتبة

<sup>١</sup> يبدأ من هنا نقص كبير في بـ.٥. تـ: ولما كتب؛ والمثبت من فتوح مصر، ١٤٨. <sup>٢</sup> تـ: إليهما؛ والمثبت من فتوح مصر، ١٤٨. <sup>٣</sup> تـ: وفيه؛ والمثبت من فتوح مصر، ١٤٨. <sup>٤</sup> تـ: أحمر؛ والمثبت من فتوح مصر، ١٤٨. <sup>٥</sup> تـ: أعطينا؛ والمثبت من فتوح مصر، ١٤٨.

ابن غزوan و كان على أرض البصرة و صدقاتها و سبـل بن معبد الجـلي ثم الأحسـي كان على قبـض المـغانـم و أبو مـريم بن محـرش الحـقـيـ كان على رـام هـرـمز و عـاصـم بن قـيسـ بن الـصلـتـ السـلـيـ كان على المـناـذـرـ و الصـدـقةـ و ابن غـلـابـ خـالـدـ بن الـحـارـثـ بن أـوـسـ بن دـهـمـانـ كان على بـيـتـ الـمـالـ يـاـصـبـهـانـ و سـمـرـةـ بنـ جـنـدـ كـانـ على سـوقـ الـأـهـواـزـ و جـرـنـ ابنـ مـعـاوـيـةـ عمـ الـأـحـفـ كانـ على سـرـقـ و بـشـرـ بنـ الـحـقـزـ الـمـرـيـ كانـ يـاـليـ جـنـدـ سـابـورـ و نـافـعـ بنـ الـحـارـثـ و أـخـوـهـ نـقـيـ أـبـوـ بـكـرـةـ كـانـ على غـنـائـمـ الـأـبـلـةـ.

٦٣٤ وبـعـثـ مـهـدـبـنـ مـسـلـمـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ إـلـىـ عـمـرـ وـبـنـ الـعـاصـ وـكـتـبـ إـلـيـهـ أـمـاـ بـعـدـ فـإـنـكـمـ مـعـشـرـ الـعـمـالـ قـدـ قـدـتـمـ عـلـىـ عـيـونـ الـأـمـوـالـ فـيـقـيـتـمـ الـحـرـامـ وـأـكـلـتـمـ الـحـرـامـ وـقـدـ بـعـثـتـ إـلـيـكـ مـهـدـبـنـ مـسـلـمـةـ الـأـنـصـارـيـ لـيـقـاسـمـكـ مـالـكـ فـأـحـضـرـهـ مـالـكـ وـالـسـلـامـ. فـلـمـ قـدـمـ مـهـدـبـنـ مـسـلـمـةـ مـصـرـأـهـدـيـ لـهـ عـمـرـ وـبـنـ الـعـاصـ هـدـيـةـ فـرـدـهـاـ عـلـيـهـ فـغـضـبـ عـمـرـ وـقـالـ يـاـ مـهـدـلـمـ رـدـدـتـ إـلـيـ هـدـيـتـيـ وـقـدـ أـهـدـيـتـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـقـدـمـيـ منـ غـزـوـةـ ذـاتـ السـلاـسـلـ قـبـلـ فـقـالـ لـهـ مـهـدـ إـنـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ كـانـ يـقـبـلـ بـالـوـحـيـ مـاـ شـاءـ وـيـمـشـعـ مـاـ شـاءـ وـلـوـكـانتـ هـدـيـةـ الـأـخـ إـلـىـ أـخـيـهـ قـبـلـتـهاـ وـلـكـنـهـ هـدـيـةـ إـمامـ شـرـخـلـفـهـاـ فـقـالـ عـمـرـ وـقـعـهـ اللـهـ يـوـمـاـ صـرـتـ فـيـهـ لـعـمـ بـنـ الـخـطـابـ وـالـيـاـ فـلـقـدـ رـأـيـتـ الـعـاصـ بـنـ وـائـلـ يـلـبـسـ الـدـيـاجـ الـمـرـرـ بـالـذـهـبـ وـإـنـ الـخـطـابـ بـنـ قـفـيلـ لـيـهـلـ الـحـطـبـ عـلـىـ حـمـارـ بـمـكـةـ فـقـالـ لـهـ مـهـدـبـنـ مـسـلـمـةـ أـبـوـكـ وـأـبـوـهـ فـيـ النـارـ وـعـمـرـ خـيـرـ مـنـكـ وـلـوـلـاـ الـيـوـمـ الـذـيـ أـصـبـحـتـ تـذـمـ لـأـلـفـيـتـ مـعـقـلـاـ عـنـزـاـ يـسـرـكـ عـرـرـهـاـ وـيـسـوـكـ بـكـوـهـاـ فـقـالـ عـمـرـ هـيـ فـاتـةـ الغـضـبـ وـهـيـ عـنـدـكـ بـأـمـانـةـ. ثـمـ أـحـضـرـهـ مـالـهـ فـقـاسـمـهـ إـيـاهـ ثـمـ رـجـعـ. ٧٣٤ وـرـوـيـ عنـ جـعـفـرـ بـنـ رـبـعـةـ عـنـ أـيـهـ أـنـ جـدـهـ أـوـصـيـ أـنـ يـدـفـعـ إـلـىـ عـمـ بـنـ الـخـطـابـ نـصـفـ مـالـهـ وـكـانـ عـمـ رـاـسـتـعـمـلـهـ عـلـىـ بـعـضـ أـعـمـالـهـ.

٨٣٤ وـرـوـيـ أـنـ أـبـاـهـرـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ قـالـ لـمـاـ قـدـمـتـ مـنـ الـجـرـيـنـ قـالـ لـيـ عـمـرـ يـاـ عـدـوـ اللـهـ وـعـدـوـ الـإـسـلـامـ حـتـ مـالـ اللـهـ قـالـ قـلـتـ لـسـتـ بـعـدـوـ اللـهـ وـلـاـ عـدـوـ الـإـسـلـامـ وـلـكـنـيـ عـدـوـ مـنـ عـادـهـاـ وـلـمـ أـخـنـ مـالـ اللـهـ وـلـكـنـاـ أـمـانـ خـيـلـ لـيـ تـابـتـ وـسـهـامـ

١ تـ: الـمـنـابـ؛ وـالـمـثـبـتـ مـنـ فـتوـحـ الـبلـدانـ، ٥٤١ـ٤٢ـ. ٢ تـ: إـلـيـهـ؛ وـالـمـثـبـتـ مـنـ فـتوـحـ مصرـ، ١٤٦ـ.

اجمعت. قال عدو الله وعدو الإسلام خنت مال الله قال قلت لست بعدو الله ولا عدو الإسلام ولكنّي عدو من عادها ولم أخن مال الله ولكنّها أمان خيل لي تناجحت وسهام اجمعت. قال ذلك ثلاث مرات يقول ذلك عمر ويرد عليه أبو هريرة هذا القول قال ففرماني إثني عشر ألفاً فقمت في صلاة الغداة فقلت اللهم اغفر لأمير المؤمنين.

فأرادني على العمل بعد فقلت لا قال أوليس يوسف خير منك وقد سأله العمل قلت إن يوسف بنى بن نبى وأنا ابن أميمة وأنا أخاف ثلاثاً واثنتين قال إلا تقول خمساً قلت لا قال مه قال قلت إني أخاف أن أقول بغير حلم وأقضى بغير علم وأن يُضرب ظهري ويُشتم عرضي ويؤخذ مالي.<sup>١</sup>

فما ظننا بهؤلاء الخونة اللصوص الأقاط الذين بوا الأموال والقصور والمناظر على البحر وفي البر وظهر من نعمهم ما لا يمكن ستره ولا يخافون عاقبة من له الأمر في أملاكهم؟ وقد سماها عمر بن الخطاب شهود الخيانة فقال لي مع كل خائن أمينان الماء والطين، معناه متى خان المتصرف أظهر الله خيانته بيني وبينه فيكون شاهداً على خيانته.

وليس ذلك بداع من إقدام هؤلاء وجهلهم وسوء نظرهم في عواقب الأمور ولقد أحسن محمد بن عبد الملك الزيارات فيما اعتمده مع الخليفة لما استوزره لفضيلته وأدبه فإنه قال أصطنعني أمير المؤمنين صنيعة تفرد بها إذ تقليني من ذل التجارة إلى عز الوزارة وأحب أن يحدّ لي حدّاً ويكتب لي عهداً فإن من أصح ما استدلّ به على خيانة الرجل أن يكون لا مال له ويظهر له بعد خدمته مال أو يكون له مقدار معلوم فيظهر له ما هو أكثر وأمير المؤمنين خير بما شاع من كثرة مال أبي وأنه خلف لي من المال سبعين ألف دينار ومن الأموال ما تضمنه هذا الكتاب وقد أحضرت الشهود وأرتب لهم المال وأوقتهم على الكتب وكتبت الجميع في هذا المسطور وأخذت شهادتهم به ليكون في خزانة أمير المؤمنين فإن زاد للعبد شيء، فمما أنعم به أمير المؤمنين

<sup>١</sup> ينتهي هنا النقص الكبير في بـ دـ.

الباب الرابع في ذكر الجهال الذين تزيفوا بريء الكتاب وليسوا منهم وفيه فصول ثلاثة

عليه أو ممّا خان<sup>١</sup> فيه فحسب<sup>٢</sup> ما يحصل من جاه العمل مع الأمانة انصرف<sup>٣</sup> في أرزاق الكتاب ونقوصاتهم يستعينون بها على كفهم في أكثر الأوقات والسلام.

### فصل أختتم به هذا الكتاب وأترجم فيه عن سبب وضعني إياه<sup>٤</sup>

فأقول إن وقف واقف على هذا الكتاب وعلم تعبي فيه واستقرائي أحوال هؤلاء<sup>١،٤،٤</sup> الأقباط من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرى لهم وعليهم في زمن خليفة بعد خليفة وملك بعد ملك إلى آخر الدولة الصلاحية الناصرية فيقول ما الذي حمل مؤلف هذا الكتاب على مطالعة المقام الشريف السلطاني سيد ملوك العصر لعورات هؤلاء القوم وتعريضه بهم وقواه بأخذ أموالهم وأملاكهم؟<sup>٥</sup>  
فالجواب وبالله التوفيق قسي بالله سجحانه أنه ما حملني على ذلك إلا أمور ثلاثة<sup>٢،٤،٤</sup> أحدها غيري على مال الله تعالى الذي هو ذخيرة المسلمين وكنز عصابة هذا الدين.  
والثاني محبني في دولة مولانا السلطان خلد الله ملكه ما أراه واجباً علي وعلى كل مسلم من عرض النصائح بين يدي موافقه الشريفة.<sup>٦</sup> والثالث ما رأيت من إفراط غنى هؤلاء الأقباط الذين خدموا في الخدم القليلة وهم لا يقدرون على شيء فأصبح لهم من الأموال الظاهرة والأملاك الباهرة والجل والبذخ ما لا يقتضيه زيارة ما قرر لهم واسعوا في الأموال حتى جمعوا بين تجارة البر والبحر والسوق والزرع والمواشي والتحف والأملاك والمجواهر إلى غير ذلك من أنواع المال.<sup>٧</sup>

ولقد وليت النظر في الدواوين الكبار ووليت أكثر الوجهين القبلي والبحري وأكثر معاملات الباب عشرين سنة ووليت نظر الوجه القبلي والبحري بكلهما ومعاملات

١ـ كذا في بـ تـ وفي دـ خافـ . ٢ـ كذا في بـ دـ وفي تـ بحسبـ . ٣ـ كذا في تـ وفي بـ دـ أن يصرفـ . ٤ـ كذا في تـ والعبرة الأخيرة ساقطة في بـ دـ . ٥ـ كذا في تـ وفي بـ دـ آراءه العاليةـ . ٦ـ يختلف من هنا الصنـ في بـ دـ إلى آخر الكتابـ ويأتي فيما: ومن سلك الأمانة وأركب سبلها وجاش خلالها تغـ ظلـ لها أصبحـ فقيرـ وأمسـ لا يملكـ قطـراـ فقد قام الدليل على أنـ ذلك من بيت المال من مكاسب الأعمال والواجب استرجاع ذلك إلى بيت مال المسلمين ليكون ذخـرة للدين والحمد للهـ (تمـ يأتي في بـ ربـ العالمينـ تمـ وحسبـنا اللهـ ونعمـ الوكـلـ وفيـ دـ وحـدهـ وصـلـ اللهـ علىـ سـيدـناـ محمدـ وعلىـ آلهـ وصـحبـهـ وسلـمـ تسـليمـاـ كـثيرـاـ)ـ .

آخر وإلى في خلال هؤلاء الولايات بعث ما ورثه من أبي من أملاك بالشام وتساوي خمسة آلاف دينار وأفاقت الجميع في ثياب ودواب وغلمان وأصبحت في أسر إثنين وخمسين نفرًا من أولاد وأولاده وعيالي ليس لي ولا لهم في الدنيا راتب ولا جهة يأتينا منها درهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر ولا أعيش أنا وهم إلا من أجرا وقف وقفه علينا والدي رحمه الله وقد خرب أكره لجحنا عن عمارته ولم يبق لي في الدنيا ملك ولا حصة في ملك ولا عقار ولا أغمام ولا أبقار ولا ساقية ولا زرع ولا وجه من وجوه المكاتب على اختلافها وتفهقرت في دنیا من عشرة مماليك إلى مملوكيك روم ما يساويان ثلاثين ديناراً ومن ستة عشر رأساً من خيول وبغال خاص إلى ثلاثة أرؤس ضعاف وصرت كا قال الشاعر [الكامل]

وَأَعِيشُ بِآرْزَقِ الَّذِي لَوْأَنَّهُ دَمْعٌ لَمَّا آبَتَنَّتِ بِهِ الْآمَافُ

وبقيت أنا والأولاد نجتهد في ستر ظاهرنا للناس بما نقدر عليه من التحمل ونكتم باطن أحوالنا يبتنا فأنا وهم كما قال الله تعالى ﴿يَحْسِبُهُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءٌ مِّنَ التَّعْفُفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلَّا فَآفَا﴾ .

وعلمت إذاً أن سبب ما انتهى إليه حالى من الضائقة ما لزمته من الأمانة وأن سبب اتساع هؤلاء ما اعتمدوه من الخيانة وما أنا والأولاد وأولادهم والعياال راجون من الله تعالى أن يتولانا بنظرة من نظراته وأن يم شعث أحوالنا يبركة من بركاتها إنه ولئ ذلك وال قادر عليه.

**LIBRARY OF ARABIC LITERATURE  
EDITORIAL BOARD**

**GENERAL EDITOR**

Philip F. Kennedy, New York University

**EXECUTIVE EDITORS**

James E. Montgomery, University of Cambridge

Shawkat M. Toorawa, Yale University

**EDITORS**

Sean Anthony, The Ohio State University

Julia Bray, University of Oxford

Michael Cooperson, University of California, Los Angeles

Joseph E. Lowry, University of Pennsylvania

Maurice Pomerantz, New York University Abu Dhabi

Tahera Qutbuddin, University of Chicago

Devin J. Stewart, Emory University

**EDITORIAL DIRECTOR**

Chip Rossetti

**DIGITAL PRODUCTION MANAGER**

Stuart Brown

**ASSISTANT EDITOR**

Amanda Yee

**FELLOWSHIP PROGRAM COORDINATOR**

Amani Al-Zoubi

NEW YORK UNIVERSITY PRESS

*New York*

Copyright © 2016 by New York University  
All rights reserved

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data

Names: Nabulusi, Uthman ibn Ibrahim, active 1235, author. | Yarbrough,  
Luke B., editor translator. | Nabulusi, Uthman ibn Ibrahim, active

1235. *Luma al-qawanin al-mudiyah fi dawawin al-diyar*  
al-Misriyah. | Nabulusi, Uthman ibn Ibrahim, active 1235. *Luma*  
*al-qawanin al-mudiyah fi dawawin al-diyar al-Misriyah*. English.

Title: The sword of ambition: bureaucratic rivalry in medieval Egypt / Abu  
Amr Uthman ibn Ibrahim al-Nabulusi al-Misri; edited and translated  
by Luke B. Yarbrough.

Description: New York: New York University Press, 2016. | In Arabic with  
English translation. | Includes bibliographical references and index.

Identifiers: LCCN 2016007041 | ISBN 9781479889457 (cl : alk. paper) | ISBN  
9781479839087 (e-book) | ISBN 9781479842575 (e-book)

Subjects: LCSH: Administrative agencies--Egypt--Early works to 1800. |  
Egypt--Politics and government--640-1882--Early works to 1800.

Classification: LCC JQ3831 .N3313 2016 | DDC 320.962/09022--dc23  
LC record available at <http://lccn.loc.gov/2016007041>

Series design by Titus Nemeth.

Typeset in Tasmeem, using DecoType Naskh and Emiri.

Typesetting and digitization by Stuart Brown.